الفوائد الحسان
في
فضائل القرآن

بقلم الفقير إلى ربه ذى العطايا والمنح
سيد الأشين أبو الفرج

يـأيـهـا الـنـاس قـد جـاءتـكـم مـوعـظـة مـن ربـكـم وشـفـاء
لـمـا في الـصـدور وهـدى ورحـمـة لـلـمـؤمـنـيـن

★ ★ ★

يـارب لـك الحـمـد كـمـا يـنـبـغي لجـلال وجـهـك
وعـظـيـم سـلـطـانـك

★ ★ ★

لـك الـحـمـد عـلى نـعـمـة الـقـرآن

★ ★ ★

لـك الحـمـد عـلى نـعـمـة الاسـلام

★ ★ ★

لـك الحـمـد عـلى نـعـمـة الإيـمـان

★ ★ ★

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقـــديـــم

بقلم الأستاذ الفاضـل الشيخ عبد الوهـاب محمـد زمـان

مـدير ثانويـة الامـام عـاصـم بن أبي الـنجـود لتحـفيـظ القـرآن الكريم بالمدينـة المنـورة

الحمد لله رب العالمين ، أنار قلوب عباده المؤمنين ، بنور كتابه المبين ، وجعل القرآن الكريم شفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ، فتح الله به أعيناً عميا ، وآذاناً صماً ، وقلوبا غلفاً ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهدى به من شاء إلى صراط مستقيم . وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ ليكون دستور هذه الأمة المسلمة ، ومصدر تشريعها ، ومنهاج حياتها ، وعنوان عزتها .

وقد قيض الله سبحانه وتعالى لهذا الكتاب المبين – في مختلف العصور – من يعنى بعلومه وكل ما يتصل به ، لتحقيق المعجزة الربانية في حفظ هذا الكتاب وصيانته ، والكتب والمؤلفات التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه أكثر من أن تحصى ، وبين أيدينا اليوم كتاب جديد يمثل زهرة نضرة يانعة في هذا البستان الوارف الظلال . هذا الكتاب جديد في كثير من أبوابه وموضوعاته ، جذل في أسلوبه ، علمي في معالجته يتطرق إلى كثير من الأمور المتعلقة بكتاب الله الكريم خصوصا فيما يهم طلاب القرآن الكريم ، والمهتمين بحفظه وتحفيظه، العاملين في هذا الميدان الكبير . فهو بالاضافة إلى معالجة بعض الأمور المطروقة كفضل القرآن الكريم وفضل تعلمه وتعليمه يعالج مواضيع على درجة كبيرة من الأهمية مثل كيفية الحفظ وأسهل الطرق والأساليب المتبعة في

ذلك لكل من المعلم المتعلم ، وأهمية علم التجويد وارتباطه بالقرآن الكريم وكيفية المحافظة على القرآن الكريم من التفلت والنسيان ، وأثر هذا القرآن العظيم على كل من الفرد والمجتمع ، وموضوعات كثيرة ولطيفة . يعالج كل ذلك بأسلوب سهل مبسط مع ضرب الأمثلة التوضيحية ليسهل على الجميع الاستفادة منه .

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية أن كاتبه – أثابه الله – جمع بين الجانبين النظري والعملي في هذا الفن . ففضيلة الشيخ سيد لاشين أبو الفرح يحفظ القرآن الكريم بقراءاته المختلفة منذ الصغر ، ويعمل في تعليم القرآن الكريم منذ ما يزيد على عقدين من الزمن سواء في التعليم الرسمي الحكومي ، أو في التعليم الأهلي أو الخيري في المساجد ومنها مسجد رسول الله ﷺ ، تتلمذ على يديه العشرات بل المئات من محبي هذا الكتاب العزيز .

فعندما يتصدى شخص بهذه الخلفية الواسعة ، وهذه الخبرة الكبيرة للكتابة في هذا المضمار الهام لاشك أن كتابته تكون أوفى وأشمل حيث جمع فيها عصارة تجربته العملية ، وثقافته العلمية ، فكان هذا الكتاب – على صغر حجمه – واسطة العقد في مجاله .

أسأل الله الكريم أن يجزي مؤلفه خير الجزاء ، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علماً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ...

عبد الوهاب محمد زمان
مدير ثانوية عاصم بن أبي النجود
بالمدينة المنورة

حرر في ٤ / ٤ / ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة الكتاب ﴾

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وارتضاه لنا دستورا واختاره منهجا فيه الهدى والنور ، فيه شفاء لما في الصدور ، فيه جلاء القلوب ، وبه يكشف الكروب وبه ينال المسلم كل أمر محبوب ، وبه تدفع عظائم المكروهات وأجلّ الخطوب . كتاب من تمسك به فاز ونجا ، وجعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، والسراج المنير المؤيد بالمعجزات الباهرات وآيات القرآن البينات ، من أرسله الله رحمة لأهل الأرض والسموات ، اللهم صلّ عليه وعلى آله وصحبه ما تليت الآيات وأقيمت الصلوات ورفعت الأكف بالدعوات ، صلاة تُقْضَى لنا بها جميعُ الحاجات ، ونُرفَعُ بها أعلى الدرجات ، وتكفر بها عنا جميع الذنوب والسيئات ، في الحياة وبعد الممات ، يا رفيع الدرجات ، يا مجيب الدعوات ، يارب العالمين .

أما بعد : فإن شرف الانسان ليس بما يجمع من حطام الدنيا الفانية ، ولابما يقتنيه من زخارفها البالية ، بل بما يكتسبه من العلم والمعرفة ، وما يتحلى به من الخُلُق والصفة ، وما يتجمل به من القناعة والعفة ، وأفضل ما يكتسبه العلوم الشرعية ، التي ترفع قدره عند رب البرية ، وأكرمْ بها وأنعمْ من منحة وعطية ، وأفضل تلك العلوم وأشرفها كتاب ربنا العظيم وكلامه القديم وذكره الحكيم ، الذي أنزله على قلب رسوله الكريم ، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ولذلك يقول من اصطفاه ربه وكرّمه : «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»(١) وأكرمْ بها من شهادة وأنعمْ به من تكريم .

ويقول الامام محمد بن الجزري في طيبة النشر :

وبعد : فالانسان ليس يشرف إلا بما يحفظه ويعرف
لذاك كان حاملوا القرآن أشراف الأمة أولي الاحسان

---

(١) أخرجه البخاري وأبوداوود والترمذي .

وإنهم في الناس أهل الله وإن ربنا بهم يباهي
وقال في القرآن عنهم وكفى بأنه أورثه من اصطفى

فالمشتغل بالقرآن تعلماً وتعليماً قد وفق لعمل جليل .... وله عند الله على ذلك الثواب الجزيل ، فهنيئاً لمن اختاره الله لهذا الطريق واصطفاه ، وأقامه في خدمة كتابه ووفقه وهداه ، فقد اختصه الله بفضل عظيم ، وهداه بذلك إلى الصراط المستقيم . ومن أجل إلقاء بعض الضوء على فضائل هذا الكتاب الكريم وما ينتظر صاحبه العامل به من النعيم المقيم ، والخير العميم ، جمعت في هذا الكتاب ما وفقت إليه من آيات كريمة وأحاديث نبوية عظيمة ، وما ورد عن سلفنا الصالح من أقوال حكيمة ، لعلّ الله ينفع بها من عنده نية لحفظ القرآن فتقوى لديه العزيمة ، وقد سميته :

﴿ الفوائد الحسان في فضائل القرآن ﴾

وإنني أعترف بعجزي وتقصيري ، وقلة علمي ومحدودية تفكيري ، وأرى نفسي لست لذلك أهلًا وأعلم أنني لست ممن يجيد في هذا المجال قولًا أو عملًا، ولكنه مجهود ضعيف من مقل ، يرجو من الله السداد ويحدوه في ذلك الأمل ، فربنا رب كريم لايرد من سأل ، ولايطرد من يقف ببابه ولا من بفنائه حلّ .

وهناك عدة أشياء جعلتني أفكر في هذا الأمر وبه أنشغل وهى :

أولًا : تلك الحلقات التي قدمتها في الاذاعة بالاشتراك مع الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الوهاب محمد زمان – مدير ثانوية الامام عاصم لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة والذي كان له دور كبير في بلورة هذه الفكرة . لأنه جزاه الله خيراً هو الذي كان يحدد النقاط التي سوف نتحدث فيها أو عنها في تلك الحلقات والتي كانت هى النواة الأولى لموضوع هذا الكتاب . وبعد انتهاء تسجيل تلك الحلقات جاءتني هذه الفكرة ، لماذا لاتُجمع هذه النقاط المفيدة

وغيرها من المواضيع التي تتعلق بها وتدور حول نفس الموضوع في كتاب يكون تذكرة للحفاظ ، ومرشداً لمن يريد الحفظ ، وحافزاً لمن يريد أن يتعلم تلاوة القرآن تلاوة صحيحة ، ومشجعاً لأولياء الأمور ليحثوا أبناءهم على الاقبال على حفظ القرآن الكريم طمعاً فيما ينتظرهم من ثواب عظيم عند الله على ذلك .

ثانياً : قصدت النصح لأولئك الطلاب الذين منّ الله عليهم بحفظ القرآن الكريم ولكنهم لايعرفون قدر النعمة التي أنعم الله عليهم بها ، لعل الله تبارك وتعالى يجعل في هذه الرسالة إيقاظاً لهممهم ، وصحوة لقلوبهم ، وتجديداً لنشاطهم ، فيقدروا القرآن حق قدره ويعطوه ما يستحق من تعظيم واجلال .

ثالثاً : جمعت في هذا الكتاب بعض الاجابات على بعض الأسئلة التي سألني عنها بعض طلاب القرآن الكريم مثل : كيف كان يحزب الصحابة القرآن الكريم ؟ وفي كم يوم كانوا يختمونه ؟ وما الطريقة الصحيحة في حفظ القرآن ؟ وبماذا نرد على من يثبط همة من يريد حفظ القرآن بدعوى أن أول ثلاثة من الخلق تسعر بهم النار يوم القيامة منهم قارئ القرآن ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي كان يسألني عنها بعض الطلاب . وقد ذكرت في الاجابات على تلك الأسئلة أقوال علماء الأمة من السلف الصالح رحمهم الله ، فما أنا إلا ناقل وموصل للخير كالبستاني الذي يقطف من كل بستان زهرة ثم يجمعها في باقة عطرة ويقدمها إلى أحبته في الله ندية نضرة .

وأسأل الله أن أكون قد وفقت في ذلك وأن يغفر لي ما وقع من خطأ أو نسيان هنالك ، كما أسأله جل وعلا أن ينفع به كل من قرأه وأن يجزي خيراً كل من وجد فيه خطأ فأصلحه أو نقصاً فكمّله .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه ذي العطايا والمنح

سيد لاشين أبو الفرح

المدرس بثانوية الإمام عاصم لتحفيظ القرآن

بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الباب الأول ﴾

الفصل الأول : في فضائل القرآن من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة

أولًا : القرآن الكريم المعجزة العظمى التي أيد الله بها سيدنا محمداً ﷺ :

لما روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»** (١) .

ويعلق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث بقوله :

«معنى قوله ﷺ (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات) أى هذا دليل على أن النبي لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدق ذلك النبي ولايضره من أصر على المعاندة ، ولقد أيد الله كل نبي بآية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن ويصدق بذلك النبي لأجل تلك الآية الدالة على صدقه .

ومعنى قوله ﷺ : (وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ) أى أن المعجزة التي أيد الله بها رسوله وحبيبه سيدنا محمداً ﷺ والتي تحدى بها الجن والإنس هى الوحي الذي أنزله عليه وهو القرآن الكريم ، لما اشتمل عليه من الاعجاز الواضح والنور الساطع ، وليس المراد حصر معجزاته ﷺ في القرآن فقط ولا أنه لم يؤت من المعجزات مثل ما أوتي من تقدمه من الأنبياء والمرسلين ، وإنما المراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التي اختُص بها دون غيره لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره بل قد يعطي ما يشابهها أو أعظم منها ، فعلى سبيل المثال : إذا كان الله سخر الجبال تسبح مع داود وتردد تسبيحه بالعشي والاشراق فلقد سبح الحصى في كف النبي ﷺ ، وحنّ الجذع

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج : ٨ ص : ٦١٨ باب فضائل القرآن .

لفراقه بقدرة الله عزوجل . وإذا كان موسى عليه السلام بقدرة الله يضرب الحجر فينبع منه الماء ، فإن الله أجرى معجزة أعظم من هذه لسيدنا محمد ﷺ حينما نبع الماء من بين أصابعه فأروى الجيش وتوضأ المسلمون وملأوا أوعيتهم . وإذا كان عيسى عليه السلام يحي الموتى بإذن الله فإن الذراع المسمومة نطقت بقدرة الله وأخبرت النبي ﷺ بأنها مسمومة .

معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ :

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ بوَضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم)[١] .

حنين الجذع لفراقه ﷺ :

روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يارسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها) وفي رواية عند الامام أحمد : قال ﷺ : لو لم أحتضنه لَحَنَّ إلى يوم القيامة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي .

تسبيح الحصى في كفه ﷺ :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : لأذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته ، كنت رجلاً اتبع خلوات رسول الله ﷺ فرأيته يوماً جالساً وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه ، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال : تسع حصيات فأخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن أى فسكتن ... إلى آخر الحديث[(١)] .

معجزة إخبار الذراع بأنها مسمومة :

ذكر ابن اسحاق في السيرة : أنه لما اطمأن رسول الله ﷺ (أى بعد فتح خيبر) أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم بشاة مصلية (أى مشوية) وقد سألت أى عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : «**إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم**» ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : «**ما حملك على ذلك**» ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلتُ : إن كنت كاذباً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر من أكلته التي أكل[(٢)] . إلى غير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها سيدنا محمدا ﷺ ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في معنى قول النبي ﷺ : «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» رتب هذا الكلام على ماتقدم من معجزة القرآن

---

(١) رواه البيهقي (٢) البداية والنهاية لابن كثير ج : ٤ ص : ٢١١ .

المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه ، لاشتماله على الدعوة والحجة والاخبار بما سيكون . فعمّ نفعه من حضر ومن غاب ، ومن وُجد ومن سيوجد وقد تحقق هذا الرجاء فإنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً .

وقد جمع بعض العلماء اعجاز القرآن في أربعة أشياء :

أحدها : حسن تأليفه والتئام كلمه مع الايجاز والبلاغة .

ثانيها : صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نثراً ونظماً حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الاتيان بشيء مثله.

ثالثها : ماشتمل عليه من الأخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الداثرة مما كان لايعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .

رابعها : الاخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده .

ومن اعجاز القرآن في غير هذه الأشياء الأربعة :

– آيات وردة بتعجيز قوم في قضايا أنهم لايفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه ، مثل قول الله تعالى فيمن شك في القرآن ولم يؤمن به: ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ الآية ٢٣ سورة البقرة .

ثم زاد في التحدي فقال سبحانه ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة**﴾ الآية ٢٤ سورة البقرة .

ويقول ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية : لن لنفي التأبيد في المستقبل أى : لم تستطيعوا أن تعارضوا هذا القرآن في الماضي ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل . وهذه معجزة أخرى لأنه أخبر خبراً جازماً قاطعاً – غير خائف ولامشفق – أن هذا القرآن لايعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين . وكذلك وقع الأمر من لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا ولايمكن وأنّى يتأتى ذلك لأحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء ؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام

المخلوقين ؟[1] .

ويضيف الحافظ ابن حجر :

- **ومن إعجازه** : الروعة التي تحصل لسامعه وإن قارئه لايمل من ترداده وسامعه لايمجه ، ولايزداد بكثرة التكرار إلا طراوة وحلاوة ولذاذة ولايشبع منه العلماء .

- **ومن إعجازه** : أنه آية باقية لاتعدم ما بقيت الدنيا .

- **ومن إعجازه** : أنه جامع لعلوم ومعارف لاتنقضي عجائبه ولاتنتهي فوائده.

(انتهى ملخصاً من كلام القاضي عياض وغيره)[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ١ ص : ٤١ .

(٢) فتح الباري ج : ٨ ص : ٦٢٣ .

﴿ فصل في أسماء القرآن الكريم وبعض معانيها ﴾

أولًا – القرآن : سمي بذلك لأنه جمع فيه الأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ . وكل شيء جمعته فقد قرأته . ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه**﴾[1] ذكره الامام البغوي في كتابه شرح السنة[2] .

وذكر القرطبي في تفسيره : أن القرآن : اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء كالمكتوب يسمى كتاباً والمشروب يسمى شراباً ، وهو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً ... وقد ورد ذكر اسم القرآن مُعَرَّفاً في الكتاب العزيز ثمان وخمسون مرة ، وقد ذكر اسم القرآن مُنَكَّراً عشر مرات .

ثانياً : الفرقان : قال تعالى : ﴿**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفُرْقَانَ**﴾[3] .

قال قتادة والربيع : الفرقان هنا القرآن .

وقال تعالى : ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾[4] .

وسمى بالفرقان : لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام ، بما يذكره الله تعالى فيه من الحجج والبينات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ..

ومن تمسك بهديه وسار على نهجه جعل الله له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل وجعل الله له نوراً يمشي به في الناس ويهتدي به إلى صراط الله المستقيم. قال تعالى : ﴿**ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**ياأيها**

---

(١) الآية رقم ١٧ سورة القيامة (٢) انظر شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٢٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ٣ و ٤ (٤) سورة الفرقان آية ١ .

(٥) سورة الأنفال آية ٢٧ .

الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم ..﴾[1] .

ثالثاً – الذكر : قال تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2] وقال تعالى : ﴿**وهذا ذكر مبارك أنزلناه ..**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾[4] .

وسمى القرآن ذكراً لأنه مذكر وموقظ للقلوب الغافلة ، كما قال تعالى : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[5] أي لتعرف الناس الأحكام والحلال والحرام لعلهم يتفكرون في هذا القرآن فيتعظون . وبمناسبة الآية الأولى ذكر القرطبي في تفسيره عن يحيى بن أكثم قال : كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب ، حسن الوجه ، طيب الرائحة ، قال : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، فلما تقوّض المجلس (أي انفض) دعاه المأمون فقال له : اسرائيلي ؟ قال : نعم ، قال له : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده فقال : ديني ودين آبائي ، وانصرف .

قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً .

قال : فتكلم على الفقه فأحسن الكلام . فلما تقوّض المجلس دعاه المأمون، فقال له : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال : بلى !

قال : فما كان سبب اسلامك ؟

قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن امتحن هذه الأديان وانت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة ، فاشتُريت مني . وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتُريت مني . وعمدت إلى القرآن

---

(١) سورة الحديد آية ٢٨ . (٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٥٠ . (٤) سورة ص آية ٨٧ .

(٥) سورة النحل آية ٤٤ .

فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها نقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رَمَوا بها فلم يشتروها . فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي .

قال يحي بن أكثم فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر .

فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عزوجل .

قال : فقلت : في أي موضع ؟

قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿**بما استحفظوا من كتاب الله**﴾[1] فجعل حفظه إليهم فضاع .

وقال عزوجل : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ فحفظه الله عزوجل علينا فلم يضع[2] .

رابعاً – ومن أسماء القرآن : الكتاب . لأنه كتب فيه ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم وأخبار الأمم السابقة مع أنبيائهم ورسلهم ، وأنباء ما كان وما سيكون . قال الله تبارك وتعالى : ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾[4] وقال تعالى : ﴿**الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾[6] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : أى هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم إنسهم وجنهم[7] .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ — (٢) تفسير القرطبي ج: ١٠ ص : ٦ و ٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ . — (٤) سورة الأنعام آية ١٥٥ .

(٥) سورة هود آية ١ . — (٦) سورة ابراهيم آية ١ .

(٧) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٢٨٩ .

هذا وقد ورد لفظ «**الكتاب**» و «**وكتاب**» مقصود به القرآن الكريم في اثنين وسبعين موضعاً .

خامساً – ومن أسمائه : «**النور**» : لأنه النور الذي يهدي الله إليه من يشاء من عباده ولأنه نور للقلوب ونور للعقول المؤمنة ، ونور في القبور ، ونور على الصراط يوم القيامة لمن جعله إمامه واهتدى بهديه وتمسك بآدابه وتخلق بأخلاقه وقرأه آناء الليل وأطراف النهار على ما يحبه الله ويرضاه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿**ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً**﴾[1]

قال سفيان الثوري : البرهان : هو رسول الله ﷺ لأن معه البرهان وهو المعجزة الخالدة والنور المنزل : هو القرآن العظيم .

وعن الحسن : سماه نوراً لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة فهو نور مبين أى واضح بين ، قال تعالى : ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾[2] قال ابن كثير : قال الله هذا مخبراً عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وقال الزجاج : ﴿**قد جاءكم من الله نور**﴾ هو سيدنا محمد ﷺ ﴿**وكتاب مبين**﴾ أى القرآن .

ويؤيد هذا القول : قول كعب بن زهير في قصيدته التي قالها بين يدي رسول الله ﷺ :

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى من البيتين المذكورين أشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا[3] .

وقال تعالى : ﴿**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك المفلحون**﴾[4] .

---

(١) سورة النساء آية ١٧٤ .

(٢) سورة المائدة آية ١٥ . (٣) كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج: ٣ ص: ٢٨٢ و ٢٨٣

(٤) سورة الأعراف: آية ١٥٧ .

قال ابن كثير في معنى قوله تعالى : (وعزروه ونصروه) أى عظموه ووقروه .

وقد وردت أسماء كثيرة لهذا الكتاب العزيز في القرآن وأكتفي بالشيء اليسير الذي ذكرته على سبيل المثال لا الحصر . وقد قال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله : «اعلم أن الله تعالى سمى القرآن العظيم بخمسة وخمسين اسماً» ذكرها مفصلة الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» فمن أراد معرفتها ومعرفة معانيها فليرجع إلى الكتاب المذكور الجزء الأول ص : ٢٧٣ .

﴿ فصـــل : في ذكر بعض الآيات الدالة على أن القرآن الكريم أنزله الله تعالى بعلمه ﴾

قال تعالى : **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾**[1] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية :

لما تضمن قوله تعالى : **﴿إنا أوحينا إليك﴾** إلى آخر السياق إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب ، قال الله تعالى : **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾** أى وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي **﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** ، ولهذا قال سبحانه : **﴿أنزله بعلمه﴾** أى فيه علمه الذي أراد أن يطلع عليه العباد من البينات والهدى والفرقان ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل ، ومافيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لايعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به .

﴿والملائكة يشهدون﴾ أى بصدق ما جاءك وأوحي إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى[2] **﴿وكفى بالله شهيداً﴾** أى كفى بالله شاهداً ، فشهادته تغنيك وتكفيك وإن لم يشهد غيره[3] .

ولقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن بلسان عربي مبين لأنه نزل في عصر اشتهر أهله بالفصاحة والبلاغة شعراً ونثراً فجاءت المعجزة القرآنية متحدية للسمة المميزة لذلك العصر بل ومتحدية للجن والإنس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال الله تبارك وتعالى : **﴿الر تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما**

---

(١) سورة النساء آية ١٦٦ (٢) تفسير ابن كثير ج : ١ ص : ٤٦٦ و ٤٦٧ .

(٣) صفوة التفاسير ج : ١ ص : ٣٢١ .

أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾[1] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات :

﴿**تلك آيات الكتاب**﴾ أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين ، أى الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها . كما قال تعالى : ﴿**وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبْدَ لكم**﴾[2] وكما قال تعالى : ﴿**ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾[3] وقوله تعالى : ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس . فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة في أشرف بقاع الأرض وابتدئ إنزاله في أشرف الشهور وهو «**رمضان**» فكمل من كل الوجوه . ولهذا قال الله عزوجل : ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ أى بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن .

وقد ورد في سبب نزول الآية : ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا : يارسول الله ﷺ لو قصصت علينا ؟ فنزلت ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ فأرادوا القصص فدلهم الله على أحسن القصص .

ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن الكريم وإنه كافٍ ومغنٍ عن كل ما سواه من الكتب مارواه الإمام أحمد عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك؟

قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ .

قال عبد الله بن ثابت : فقلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟

---

(١) سورة يوسف الآيات ١ و ٢ و ٣ (٢) سورة المائدة آية ١٠١ .

(٣) سورة الفرقان آية ٣٣ .

فقال عمر : رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولًا . قال : فَسُرِّيَ عن النبي ﷺ وقال : «**والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين**» وفي رواية أخرى للإمام أحمد كذلك : «**والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1] .

فما أسعد حظنا أن كنا من أمة سيدنا محمد ﷺ إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولما كانت الأمة المحمدية خير الأمم ورسولها خير الرسل صلى الله عليهم أجمعين كان كتابها خير الكتب التي أنزلها الله كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾ . أي أن هذا القرآن الكريم أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعله الله خاتم الكتب وأشملها وأعظمها وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ولهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل بحفظه سبحانه وتعالى فقال : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2] .

والقرآن العظيم الذي هذه صفاته كتاب مبارك وهدى ورحمة وموعظة وصاحبه الذي يحمله بين جنبيه إذا قام به وتخلق بأخلاقه وسار على نهجه لاشك ستناله من بركته وهداه ورحمته الشيء الكثير . فالانسان إذا صاحب انساناً صالحاً فإنه يتأثر بصلاحه كما قال الرسول الكريم ﷺ : «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة**» متفق عليه .

فإذا كان الانسان يناله من جليسه الصالح هذا الخير وهو يجالسه لفترات قليلة وأوقات محدودة فصاحب القرآن الذي يتلوه آناء الليل وأطراف

---

(١) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٢٣٩ (٢) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٥٢٤ .

النهار يناله من بركاته ويكون انساناً مباركاً ببركة القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾**[1] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : فيها الدعوة إلى اتباع القرآن ، يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة[2] .

وقال تعالى : **﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾**[3] وقال تعالى : **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾**[4]

قال الحسن البصري حول معنى هذه الآية : والله ما تدبره بحفظ حروفه واضاعة حدوده . حتى أن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولاعمل[5] .

فاحرص أخي المسلم أن تكون من ذوي العقول الصحيحة التي تسترشد بالقرآن الكريم إلى المقاصد الصحيحة ولنحرص على أن نكون ممن يعمل بما يعلم حتى يكون علمه حجة له لا عليه وخاصة القرآن .

ولقد شبه النبي ﷺ : الذي يتعلم القرآن ويقوم به الليل كمثل جراب أى : كيس محشو أى : مملوء مسكاً تفوح وتظهر رائحته الزكية في كل مكان مر به أو جلس فيه فيتمتع هو بهذه الرائحة الطيبة كما يتمتع بها الآخرون وكما يقال: كل إناء بما فيه ينضح .

وشبه النبي ﷺ ذلك الذي يتعلم القرآن ويرقد وهو في جوفه فلايقوم به الليل كمثل جراب مملوء مسكاً ولكنه أوكي عليه (أى ربط عليه) فلايظهر ريحه ولاينتفع هو به ولاينتفع به غيره .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٥ (٢) تفسير ابن كثير ج : ١ ص : ٦٣٤ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٥٠ (٤) سورة ص آية ٢٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٢٠٢ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «**قال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن فاقرأوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه فقام به كمثل جراب محشو مسكاً تفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك**» . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه .

ومن هذا يتبين لنا صحة القول القائل بأن حامل القرآن تناله من بركات القرآن ورحمته إذا قام بحقه على قدر استطاعته وأنه يكون انساناً مباركاً .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★ ★

★

﴿ فصل في الآيات الدالة على أن هذا القرآن فيه شفاء لما في الصدور ﴾

قال تعالى : **﴿يأأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾**[1] .

(موعظة من ربكم) أى زاجر عن الفواحش ، (وشفاءلما في الصدور) أى من الشبهة والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس ، (وهدى ورحمة) أى يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين به ، والمصدقين والموقنين بما فيه[2] .

وقال تعالى : **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً﴾**[3] دلت هذه الآية على أن القرآن الكريم شفاء ورحمة للمؤمنين أى يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل وفساد . فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة . وأما الكافر الظالم لنفسه بذلك فلايزيده سماع القرآن إلا بُعداً وكفراً ، والآفة من الكافر وليس من القرآن . كما قال تعالى : **﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾**[4] .

وصدق القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

قال قتادة : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ، (ولايزيد الظالمين إلا خساراً) أى لاينتفع به ولايحفظه ولايعيه[5] .

---

(١) سورة يونس آية ٥٧ . (٢) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ١٩٨ .

(٣) سورة الاسراء آية ٨٢ (٤) سورة التوبة الآيتين ١٢٤ و ١٢٥ .

(٥) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٣٩٦ .

وبمناسبة قول الله تعالى : ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ ذكر القرطبي في تفسيره أن العلماء اختلفوا في كون القرآن شفاء على قولين :

أحدهما : أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب أى الشك ولكشف الغطاء عن القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى .

ثانيهما : أن القرآن شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : لما رقى سيد الحي اللديغ بسورة الفاتحة فشفى بإذن الله ، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال له : وما يدريك أنها رقية ؟ فقال : يارسول الله ! «**شيء أُلقي في روعي**» . وإذا جاز الرقى بالمعوذتين والفاتحة وهي بعض سور القرآن كانت الرقية بسائر القرآن مثلهما في الجواز إذ كله قرآن .

وروى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها : «**أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات ، فلما ثقل : كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها**»(١) .

وسئل الزهري : كيف كان ينفث ؟ قال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه .

هذا وقد ذكر صاحب البرهان في علوم القرآن تحت عنوان : «معرفة خواص القرآن» :

حكي عن الشافعي رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمداً ، فكتب إليه في رقعة (بسم الله الرحمن الرحيم ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ، (للذين آمنوا هدى وشفاء) فعلق الرجل ذلك فبريء بإذن الله .

وذكر في الكتاب المذكور عن ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٠ ص : ٢٠٦ .

يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ قوله تعالى : ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي**﴾ **إلى آخر الآية ، ثم أضمر : أى حدد في أي وقت تريد أن تستيقظ فانك سوف تقوم فيه إن شاء الله ، ففعل فقام في الوقت المعين .**

أقول : هذه مجربة ، ولكن بقراءة الآيات الأربع الأخيرة من سورة الكهف من قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا﴾ إلى نهاية السورة .

وذكر في الكتاب المذكور كذلك أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي ﷺ في المنام فقال له رسول الله ﷺ مالي أراك محزوناً ؟ فقال : ولدي قد مرض واشتد عليه الحال ، فقال له النبي ﷺ : أين أنت من آيات الشفاء؟

١ - ﴿**ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾[1] .

٢ - ﴿**وشفاء لما في الصدور**﴾[2] .

٣ - ﴿**فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾[3] .

٤ - ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾[4] .

٥ - ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[5] .

٦ - ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾[6] .

فقرأ الشيخ هذه الآيات ثلاث مرات على ولده فبرئ بإذن الله .

ثم عقب الإمام بدر الدين الزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن الذي ذكر هذه الوقائع (أن هذا النوع من العلاج بالقرآن لاينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته وتدبر الكتاب في عقله وسمعه وعمّر به قلبه وأعمل به جوارحه وجعله سميره في ليله ونهاره وتمسك به وتدبره)[7] انتهى والله تعالى أعلم

---

(١) سورة التوبة آية ١٤ (٢) سورة يونس آية ٥٧ .

(٣) سورة النحل آية ٦٩ (٤) سورة الاسراء آية ٨٢ .

(٥) سورة الشعراء آية ٨٠ (٦) سورة فصلت آية ٤٤ .

(٧) كتاب البرهان في علوم القرآن ج : ١ ص ٤٣٥ و ٤٣٦ .

﴿ فصل في بيان أن للقرآن منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه أقسم به في أكثر من موضع في هذا الكتاب العزيز وهذا مظهر من مظاهر عظمته عند الله عزوجل ﴾

وكيف لا ؟ وهو كلامه المنزل على حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ الذي ختم به النبوات والرسالات وختم بهذا الكتاب العزيز الكتب السماوية . قال الله عزوجل : ﴿**يس والقرآن الحكيم**﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿**ص والقرآن ذي الذكر**﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿**حمٓ والكتاب المبين**﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾[٤] .

قال القرطبي : أقسم الله بالقرآن تنبيهاً على جلالة قدره ، فإن فيه بيان كل شيء وشفاء لما في الصدور ومعجزة للنبي ﷺ[٥] .

وقال الضحاك : (ذي الذكر) أي ذي الشرف ، أي من آمن به كان شرفاً له في الدارين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾[٦] أي شرفكم ، وقال عزوجل : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾[٧] يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش . قال القرطبي : والصحيح أن القرآن شرف لمن عمل به كان من قريش أو من غيرهم[٨] . كما قال الله تعالى : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٩] وقال تعالى : ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم ، في كتاب**

---

(١) سورة يس آية ١ - ٢ (٢) سورة ص آية ١ .

(٣) سورتا الزخرف والدخان آية ١ - ٢ (٤) سورة ق آية ١ .

(٥) تفسير القرطبي ج: ١٥ ص: ٩٥ (٦) سورة الأنبياء آية ١٠ .

(٧) سورة الزخرف آية ٤٤ (٨) تفسير القرطبي ج: ١٦ ص: ٦٣ .

(٩) سورة الحجرات آية ١٣ .

مكنون ، لايمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين﴾[1] .

قال القرطبي : (لا) في (فلا أقسم) صلة في قول أكثر المفسرين ، والمعنى : فأقسم بدليل قوله تعالى : **﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾** قال ابن عباس وغيره : إن القرآن لقسم عظيم ، وقيل : ما أقسم الله به فهو عظيم (إنه لقرآن كريم) أى أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن قرآن كريم ليس بسحر ولاكهانة وليس بمفترى ، بل هو قرآن كريم محمود . كريم على المؤمنين لأنه كلام ربهم ، وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء لأنه تنزيل ربهم ووحيه . وقيل : كريم لما فيه من كريم الأخلاق ومعالى الأمور . وقيل : لأنه يكرّم حافظه ويعظّم قارئه[2] . (في كتاب مكنون) أى معظم في كتاب معظم محفوظ موقر ، عن ابن عباس قال : الكتاب الذي في السماء «لايمسه إلا المطهرون» يعني الملائكة . وقال ابن جرير عن قتادة : (لايمسه إلا المطهرون) قال : لايمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس . قالوا : ولفظ الآية خبر معناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف. (انتهى من تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٤٣٩) .

فـائـــدة :

بمناسبة هذه الآية الكريمة (لايمسه إلا المطهرون) ذكر القرطبي أن العلماء اختلفوا في مسّ المصحف على غير وضوء : فجمهور العلماء على المنع لحديث عمرو بن حزم في الكتاب الذي أرسله به رسول الله ﷺ إلى شرحبيل بن عبد كلال وقومه وجاء في ذلك الكتاب : أن لايمس القرآن إلا طاهر ، وهذا مذهب الصحابة الكرام: علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم وجماعة من التابعين منهم : عطاء والزهري والنخعي ، وجماعة من الفقهاء منهم الامامان مالك والشافعي .

أما بالنسبة للصبيان في مس المصحف فعلى وجهين : أحدهما : المنع

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٧٥ - ٨٠ (٢) تفسير القرطبي ج : ١٧ ص : ١٤٥ و ١٤٧ .

اعتباراً بالبالغ . والثاني : الجواز ، لأنه لو مُنِعَ لم يحفظ القرآن[1] والأفضل أن يكون على طهارة .

﴿ فصل في بيان أن القرآن الكريم شاف وكاف ومن استغنى به أغناه ، ومن تمسك به كفاه ، ومن اتبع نوره هداه ، ومن أحبه سعد به في دنياه وأخراه ، ومن اتخذه إماماً حفظه ونجّاه وشفع له عند ربه وأرضاه ﴾

قال الله عزوجل : ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**﴾[2] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (أولم يكفهم) آية (أنا أنزلنا عليك الكتاب) الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لاتقرأ ولاتكتب ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب فيما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البيّن الجلي الذي لالبس فيه[3] .

فيجب على المسلم أن لايستعيض عن هذا الكتاب العزيز بأى شيء آخر ففيه الهداية وفيه الكفاية وفيه لكل معتبر ومتعظ آية .

ونزلت هذه الآية رداً على قول المشركين حينما قالوا : ﴿**لولا أنزل عليه آيات من ربه**﴾ أى هلّا أنزلت عليه آية كآيات الأنبياء السابقين ، قيل : كما جاء صالح بالناقة ، وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى ، فقال الله لرسوله سيدنا محمد ﷺ : ﴿**قل إنما الآيات عند الله**﴾ فهو يأتي بها كما يريد متى شاء وكيف شاء وليست عندي ، فأنزل الله تعالى : ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب**﴾ الآية لأن الله تبارك وتعالى : يؤيد كل رسول من رسله الكرام بالمعجزة المناسبة للقوم

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٧ ص : ١٤٥ و ١٤٧ (٢) سورة العنكبوت آية ٥١ .

(٣) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٤١ .

والزمن الذي يبعث فيه إليهم .

ويقول القرطبي عند تفسير هذه الآية : أى أولم يكف المشركين من الآيات أى المعجزات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله أو بسورة واحدة منه فعجزوا ، ولو أتيتهم بآيات أى معجزات موسى وعيسى لقالوا: هذا سحر ونحن لانعرف السحر ولكن الكلام مقدور لهم ، فهم أهل الفصاحة والبلاغة ومع ذلك عجزوا عن المعارضة[1] . ومع هذا قالوا عنه سحر ، كما قال الله تبارك وتعالى : **﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾**[2] . فمعنى قوله تعالى : (قالوا سحران تظاهرا) يعنون التوراة والقرآن . روي ذلك عن ابن عباس . وقال السدي : (تظاهرا) أى صدق كل واحد منهما الآخر .

وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله تعالى لم ينزل كتاباً من السماء – فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه عليهم السلام – أكمل ولاأشمل ولاأفصح ولاأعظم ولاأشرف من الكتاب الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ وهو القرآن الكريم . وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه : **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾**[3] . والإنجيل إنما أنزل متمماً للتوراة ومحلًّا لبعض ماحرم على بني اسرائيل[4] .

فالقرآن يكفي أتباعه عن جميع الكتب السابقة لأنه أكملها وأشملها في أمور الدين والدنيا ولم يترك شيئاً إلا بينه ووضحه كما قال الله تعالى : **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**[5] .

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٣ ص : ٢٣٥ . (٢) سورة القصص آية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٤ . (٤) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٧ .

(٥) سورة النحل آية ٨٩ .

وصدق من قال : من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن .

والله تبارك وتعالى يفتح على أهل القرآن **أبواب الخير ويرزقهم من حيث لايحتسبون إذا هم أخلصوا نيتهم لله**

وأسوق شاهداً على هذا شيخي الذي حفظت عليه القرآن الكريم وأنا صغير السن كان ذلك الشيخ يرحمه الله كفيف البصر وليس عنده أى عمل سوى تحفيظ أبناء المسلمين القرآن الكريم ، وكان يعول أسرة وله متطلبات أسرية وعليه الواجبات الأبوية ، ومع كل هذا كان في ستر من الله في عيشته وبركة في رزقه ، وكان الله تبارك وتعالى يرزقه ما يكفيه وزيادة وكان عنده من المال مازاد عن حاجته ويدخره لنوائب الدهر ، ويقرض منه المحتاج ، وكل هذا كان ببركة القرآن الكريم وإخلاصه في تعليمه أبناء المسلمين . رحمه الله رحمة واسعة .

﴿ فصل في بيان أن القرآن الكريم له هيبة ورهبة في النفوس المؤمنة والقلوب الخاشعة ﴾

وكيف لا ؟ ولو أنزله الله تعالى على الجبال لخشعت ، ولو أنزله على الأرض تكليفاً لتقطعت ، ولو أنزله على الصخور لتصدعت . قال تعالى : **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾**(١) .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : يقول الله تعالى معظما لأمر القرآن ومبيناً علو قدره ، وإنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عزوجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لاتلين قلوبكم ، وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه .

لكن الذي يتدبر القرآن ويفهمه ويتأثر بمواعظه إنما هو القلب الحاضر ، القلب العامر بذكر الله وليس القلب الغافل عن ذكر الله . فالقلب إذا غفل عن ذكر الله سكنته الشياطين واستحوذت عليه ، وإذا استحوذت الشياطين على قلب الانسان - ولاحول ولاقوة إلا بالله - فلاتسأل عن حاله ، كما قال الله تبارك وتعالى : **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾**(٢) نعوذ بالله من ذلك .

وإن الانسان ليجد في هذا الزمان كثيراً من الناس يسمعون القرآن فلايتأثرون ، ويتلونه ولايتعظون ، وبعضهم يعيش مع صوت القاريء إن كان حسناً استمع له وأنصت ولكن بدون تدبر فقد يقف القاريء على آية فيها ذكر للنار ولكن الوقف كان فيه شيء من ناحية التطريب فتجد المستمع منتشياً أي

---

(١) سورة الحشر آية ٢١ . (٢) سورة المجادلة آية ١٩ .

حصلت له نشوة من صوت القاريء حتى ولو كانت الآية تتحدث عن النار ، وكان الأولى أن يستعيذ بالله من النار . وإذا سمع آية فيها ذكر للجنة يسأل الله تعالى الجنة . والصوت الحسن مستحب في تلاوة القرآن لأنه يساعد على التدبر والاتعاظ .

واقرأ يا أخي المسلم وصف الله تعالى للمؤمنين وكيف كانوا يتأثرون بالقرآن لعل الله تبارك وتعالى يرزقنا هذه الصفات العظيمة لننال تلك الدرجة الكريمة التي ختم الله بها صفاتهم ، قال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**﴾[1] .

قال القرطبي عند تفسير هذه الآيات :

وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآيات بالخوف المشار إليه بـ(الوجل) عند ذكر الله تعالى ، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه وهذا يرجع إلى كمال المعرفة . وقوله تعالى : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) أى تصديقاً . وقيل : هو زيادة انشراح الصدر بكثرة الآيات والأدلة[2] .

وإليك وصفاً آخر لجماعة أخرى وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**﴾[3] .

وهذا وصف آخر لعباد الله المؤمنين الذين تتأثر قلوبهم وجلودهم حين يستمعون لكتاب الله . قال تعالى : ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾[4] .

---

(١) سورة الأنفال الآيات ٢ و ٣ و ٤ . (٢) تفسير القرطبي ج : ٧ ص : ٢٣٢ و ٢٣٣ .

(٣) سورة المائدة آية ٨٣ . (٤) سورة الزمر آية ٢٣ .

ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية : ﴿**تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾ الآية هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار ، المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد ، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ، (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) لما يرجون ويأملون من رحمته ولطفه .

فهؤلاء الأبرار مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه :

أحدها : أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات .

ثانيها : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن (خروا سجداً وبكياً) بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم . كما قال تعالى : ﴿**والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً**﴾[1] أى لم يكونوا عند سماعها متشاغلين عنها بل مصغين إليها ، يسجدون عندها عن بصيرة وعلم ، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم .

ثالثها : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يسمعون كلام الله تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . وقال السدي : (إلى ذكر الله) أى إلى وعد الله . وقرأ قتادة رحمه الله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) قال : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله أى وصفهم الله عزوجل بأنهم تقشعر جلودهم ، وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله[2] .

وقال القرطبي عند تفسير هذه الآية : (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن . لما قال : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) بيّن سبحانه أن أحسن ما يسمع ما أنزله الله وهو القرآن . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : قال أصحاب رسول الله ﷺ : لو حدثتنا ، فأنزل الله عزوجل : (الله

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٣ .   (٢) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٢١٧ و ٢١٨ .

نزل أحسن الحديث) ، فقالوا : لو قصصت علينا : فنزل (نحن نقص عليك أحسن القصص) ، فقالوا لو ذكرتنا : فنزل : ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾[١] .

وقالت السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم[٢] .

وبمناسبة هذه الآية ذكر القرطبي كذلك عن العباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها**» .

وعن شهر بن حوشب عن أم الدرداء قالت : إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة أما تجد قشعريرة ؟ قلت بلى ! قالت : فادع الله فإن الدعاء عند ذلك مستجاب .

عن ثابت البناني قال : قال فلان : إني لأعلم متى يستجاب لي ، قالوا: ومن أين تعلم ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدي ، ووجل قلبي وفاضت عيناي ، فذلك حين يستجاب لي[٣] .

والقلب أخي المسلم ! لايصل إلى هذه الدرجة إلا بشروط :

أولاً : أن يكون صاحبه مطعمه حلال ومشربه حلال فيتغذى بالحلال .

ثانياً : الابتعاد عن المعاصي والذنوب التي كلما ارتكب العبد منها ذنباً أو معصية نكت في قلبه نكتة سوداء حتى تغطي القلب وهو ما يسمى بالران في قوله تعالى : ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[٤] .

وقد روى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها**

---

(١) سورة الحديد آية ١٦ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٥ ص : ١٦٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج : ١٥ ص : ١٦٢ و ١٦٣ . (٤) سورة المطففين آية ١٤ .

صقل قلبه ، فإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)[1] .

ثالثاً : الاكثار من ذكر الله والاستغفار وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ والمسح على رأس اليتيم رحمة به . فكل هذا مما يرقق القلب ويلينه ، فإذا رقَّ القلب ولَانَ أثرت فيه المواعظ ، وإذا صلح القلب صلح سائر الجسد ، كما في الحديث الصحيح الذي يقول فيه النبي ﷺ : «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**»[2] وكان من دعوات النبي ﷺ : «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عباتك وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً**»[3] .

وقال العلماء : حركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته ، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله ، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب . ولهذا يقال : القلب مَلِك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده ، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لايخالفون في شيء من ذلك[4] .

★ ★ ★ ★ ★

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٦١٥ . (٢) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير .

(٣) رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي .

(٤) كتاب جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ج : ١ ص : ٢١٠ و ٢١١ .

﴿ فصل في بيان أن القرآن الكريم عزيز مجيد ، عَلِيٌّ سَمِيٌّ المكانة رفيع المنزلة ، عظيم الشأن ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

قال الله تبارك وتعالى : ﴿**إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾[1] .

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : الذكر هنا : القرآن في قول جميع العلماء لأنه ذكر فيه ما يحتاج من الأحكام ، (وإنه لكتاب عزيز) قال ابن عباس رضي الله عنهما : أى عزيز على الله ، عزيز من عند الله ، وقيل : كريم على الله ، وقيل : (عزيز) أعزه الله فلايتطرق إليه باطل . وقال ابن عباس : (عزيز) أى ممتنع من الناس أن يقولوا مثله ، وقيل : ينبغي أن يعز ويجل وألا يلغى فيه .

ومن اعزاز القرآن واجلاله ما يلي :

أولاً : احترام المصاحف بحيث تصان عن العبث من قبل الأطفال الصغار أو الطلاب الذين لايعرفون قدر القرآن بأن يوجّهوا ويعَلَّموا أن هذا القرآن هو كلام رب العالمين فلايجوز التخطيط أو الكتابة على أوراق المصحف .

ثانياً : ألا يوضع المصحف على الأرض محاذياً أو مساوياً للأقدام بل يوضع في مكان مرتفع احتراماً للمصحف واجلالاً له وتعظيماً لحقه ، وكذلك لايوضع فوقه كتب أخرى بل ينبغي أن يكون المصحف فوق الكتب جميعاً وألايتخذ كوسادة بأن يُتكأ عليه بيد أو بكوع أو غير ذلك وهذه أشياء تلاحظ كثيراً بين الطلاب .

ثالثاً : ألا يوضع بجوار الأحذية ، فبعض الأحيان ترى بعض الناس يضع

---

(١) سورة فصلت آية ٤١ و ٤٢ .

المصحف بجوار حذائه وإذا نصحته بأن هذا لايليق بكتاب الله يقول متعنتاً: مادليلك على ذلك ؟ . والدليل قول الله تعالى : ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾(١) .

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : الشعائر جمع شعيرة وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ، وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث «**التقوى ههنا**» وأشار إلى صدره ﷺ(٢) .

والانسان إذا كان متقياً لله تعالى فإنه يعظم كتاب الله ويجله ويحترمه ظاهراً وباطناً حساً ومعنى ، ودليل آخر على وجوب احترام المصحف واجلاله : يقول الرسول ﷺ : «**إن من اجلال الله تعالى : اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، واكرام ذي السلطان المقسط**» رواه أبوداوود باسناد حسن .

فإذا كان من تعظيم الله تعالى : اكرام هذه الأصناف الثلاثة من الناس ومن بينهم حامل القرآن ، فمن باب أولى اجلال القرآن واحترامه ، لأن حامل القرآن لم يكرم ولم ينل هذه المنزلة إلا لأجل القرآن .

رابعاً : المحافظة على المصاحف من التمزيق سواء كان الغلاف الخارجي أو أوراق المصحف الداخلية والمحافظة على الأوراق الداخلية أولى وأهم وأعظم حرمة لما فيها من كلام رب العالمين . وإذا تمزقت بعض الأوراق من كثرة استعمال الطلاب للمصاحف فالأولى أن تجمع هذه الأوراق وتحرق كما فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه حين أحرق المصاحف بعد أن جمع القرآن في مصحف واحد كما هو موجود الآن ولم يعترض عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

خامساً : صيانة الأشرطة المسجل عليها بعض سور وأجزاء القرآن عن العبث أو أن يتلقفها الطلاب فيما بينهم بل تأخذ بالتناول باليد ولاتلقى ولايرمى

---

(١) سورة الحج آية ٣٢ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٢ ص : ٣٨ .

بها من شخص لآخر ، وأن لايمسها جنب ولا حائض مثل المصحف المكتوب تماماً فالحكم واحد هذا مصحف مكتوب وهذا مصحف مسموع .

سادساً : الاستماع والانصات لتلاوة القرآن امتثالًا لأمر الله تعالى القائل : **﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾**[1] .

ورد في تفسير هذا القول الكريم : إذا تليت آيات القرآن فاستمعوها بتدبر واسكنوا عند تلاوته اعظاماً للقرآن واجلالًا . (لعلكم ترحمون) أى لكي تفوزوا بالرحمة[2] .

وقال النبي ﷺ : «**من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة**» رواه الامام أحمد .

والذي نراه من بعض الناس من تحدث واعراض عن القرآن أثناء تلاوته يتنافى مع ما للقرآن من حق وواجب على المسلم ... ولنأخذ درساً في الأدب مع القرآن من قصة أولئك النفر من الجن الذين حضروا لاستماع القرآن من النبي ﷺ كما حكى الله تبارك وتعالى عنهم في القرآن ، قال الله عزوجل : **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾**[3] .

والدرس الذي نأخذه من هذه الآيات على النحو التالي :

أولًا : الانصات لتلاوة القرآن وتدبره طلباً للفائدة كما فعلت الجن فلقد استفادوا بسماع القرآن ويتضح ذلك من قولهم لقومهم حينما رجعوا إليهم منذرين (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) .

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٤ . (٢) صفوة التفاسير ج : ١ ص : ٤٨٩ .

(٣) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ و ٣٠ و ٣١ .

ثانياً : عدم ترك مجلس القرآن إلى أن تنتهي تلاوته احتراماً للقرآن وتأدباً معه كما فعلت الجن (فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) فلم ينصرفوا إلا بعد انتهاء تلاوته .

ثالثاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه حينما أمر بعضهم بعضاً بالانصات للقرآن كان هذا من باب الأمر بالمعروف ، فالاستماع للقرآن من أعظم أعمال المعروف .

رابعاً : الدلالة على الخير وحبه للغير كما يحبه الانسان لنفسه فلم يكتف أولئك النفر من الجن بما حصلوا عليه من خير من استماعهم للقرآن والايمان به بل أرشدوا قومهم وأمروهم أن يجيبوا داعي الله ويؤمنوا به ليكون ذلك سبباً في غفران ذنوبهم ونجاتهم من العذاب الأليم .

خامساً : تدبر الجن للقرآن وفهم معانيه كما ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال ﷺ لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله تعالى : ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ قالوا : لابشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد[١] .

وفي هذه الآيات دلالة على أن سيدنا محمداً ﷺ أرسل إلى الثقلين الجن والانس .

﴿ فصل في آداب تلاوة القرآن الكريم ﴾

أن يكون القارئ على طهارة كاملة إن كانت القراءة من المصحف .

ومن آداب تلاوة القرآن أن يستاك القارئ ويتخلل فمه فيطيبه إذ هو طريق للقرآن .

ومن آدابها : أن يستقبل القبلة أثناء تلاوته وإذا تثاءب يمسك عن

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٤١٥ .

القراءة لأنه إذا قرأ فإنه يخاطب ربه ويناجيه ، والتثاؤب من الشيطان .

قال عكرمة : إن في الامساك عن القراءة أثناء التثاؤب اجلالًا للقرآن .

ومن آدابها : إذا بدأ في القراءة لايقطعها ساعة فساعة أى بين الحين والآخر بكلام الآدميين من غير ضرورة .

ومن حرمة القرآن : أن يقرأه على تؤدة وترسل وترتيل ، وأن يستعمل فيه ذهنه حتى يعقل ما يخاطب به .

ومن حرمته : إذا وضع المصحف لايتركه منشوراً (أى مفتوحاً) .

ومن حرمته : أن يضعه القاريء في حجره أو على الكرسي المخصص للمصحف .

ومن حرمته : أن لايمر على حامل القرآن يوم بدون أن ينظر في المصحف ولو مرة[1] .

﴿ فصل في بيان أن تلاوة القرآن تجارة رابحة لاتبور وخيرها موفور وسعي صاحبها مشكور ، والقائم بها مأجور ، نور لأصحابها في القبور وظل لأهلها يوم البعث والنشور ﴾

قال الله عزوجل : **﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾**[2] .

كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول : هذه آية القرّاء .

وقال ابن كثير عند تفسير هاتين الآيتين : يخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله سراً وعلانية بأنهم (يرجون تجارة لن تبور) أى يرجون ثواباً عند

---

(١) من تفسير القرطبي باختصار ج : ١ ص : ٢٢ و ٢٣ . (٢) سورة فاطر الآيتان ٢٩ و ٣٠

الله لابد من حصوله ، ولهذا قال : (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أى ليوفيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم على بال . (إنه غفور شكور) أى غفور لذنوبهم وشكور للقليل من أعمالهم[1] . وقيل في معنى : (ويزيدهم من فضله) الزيادة الشفاعة في الآخرة . لأنه قد ورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال : «**من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار**» رواه ابن ماجة والترمذي .

﴿ فصل في بيان فضل القرآن الكريم على الأمة المحمدية ﴾

لقد اختار الله هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس واختار لها أفضل رسله واختصها بأكمل كتبه وارتضى لها الاسلام ديناً ويوم أن يعود المسلمون إلى دينهم ويتمسكوا بأوامره وينتهوا بنواهيه ويوم أن يحكموا هذا الكتاب العظيم في كل شئونهم الدينية والدنيوية يومئذ يعيد الله إليهم عزتهم وقوتهم ومجدهم وسؤددهم الذي فقدوه بسبب تفريطهم في دينهم وتهاونهم في التمسك به .

قال تعالى : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير**﴾[2] إلى آخر الآيات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) هم أمة محمد ﷺ أورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وورد عنه أيضاً قوله : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٢٦ . (٢) سورة فاطر الآيتان ٣٢ و ٣٣ .

نبينا محمد ﷺ[1] .

والظالم لنفسه : هو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ، والمقتصد : هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ، والسابق بالخيرات بإذن الله : هو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[2] .

وبمناسبة قول الله تعالى : ﴿**وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**﴾ ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «**ليس على أهل لاإله إلا الله وحشة في قبورهم ولانشورهم وكأني بأهل (لاإله إلا الله) ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)**»[3] .

﴿ فصـــل في ذكر بعض الآيات التي تتحدث عن الجنة ونعيمها وبعض الآيات التي تتحدث عن النار وعذابها ، لنعبد الله تعالى بين الخوف والرجاء ﴾

فالخوف من الله تعالى يمنعنا من الوقوع في المعاصي والرجاء يجعلنا لانيأس من رحمة الله كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**﴾[6] .

---

(١) و (٢) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٤٧ . (٣) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٤٩

(٤) سورة الاسراء آية ٥٧ . (٥) سورة الحجر الآيتان ٤٩ و ٥٠ .

(٦) سورة الأعراف آية ١٦٧ .

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) لاتتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فبالخوف يكف عن المناهي وبالرجاء يستكثر من الطاعات [1] ويقول النبي ﷺ «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد**» أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه . وهكذا ينبغي للمسلم أن يذكر نفسه وغيره فيخوف ويرجي ويكون الخوف في حالة الصحة أغلب عليه منه في المرض[2] .

وإليك أخي المسلم بعض الآيات التي تتحدث عن النار وعذابها مقرونة بآيات الجنة ونعيمها لتكون الأولى مانعة وحاجزة لك عن الوقوع فيما يغضب الله وتكون الثانية دافعة وحاثّة لك على الاكثار من فعل الطاعات والقربات وما يرضي الله تبارك وتعالى :

أولًا : ذكر معنى (البشرى) عند المنافقين والكافرين من ناحية وعند المؤمنين من ناحية أخرى ، قال تعالى : ﴿**بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم**﴾[4] وقال تعالى : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾[5] .

تأمل أخي المسلم وقارن بين هذه البشرى التي هي على سبيل التهكم والسخرية التي يبشر بها المنافقون والكافرون والبخلاء وبين ما يبشر الله به عباده المؤمنين الصالحين المخبتين وهي بشرى حقيقية ، قال تعالى : ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾[6] وقال تعالى : ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند**

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٣٨٤ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٠ ص : ٢٤ .

(٣) سورة النساء آية ١٣٨ . (٤) سورة آل عمران آية ٢١ .

(٥) سورة التوبة آية ٣٤ . (٦) سورة البقرة آية ٣٥ .

ربهم﴾[1] وقال تعالى : ﴿**يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم**﴾[2] .

ثانياً : بيان مصير كل من الفريقين :

بعد ذلك تعال أخي المسلم ننتقل إلى ذكر الآيات التي تتحدث عن مصير كل فريق من الفريقين . فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾[3] .

(آ) ذكر بعض الآيات التي تتحدث عن النار وعذابها ليكون ذلك وقاية للمسلم من الوقوع في الأعمال التي تؤدي إلى ذلك المصير المحزن الذي نسأل الله تبارك وتعالى أن ينجينا والمسلمين منه ، قال تعالى : ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾[4] وقال تعالى : ﴿**ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصاً**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً**﴾[6] .

(ب) ذكر بعض الآيات التي تتحدث عن الجنة ونعيمها والعمل الذي يؤهل صاحبه لدخولها جعلنا الله تعالى جميعاً من أصحابها بفضله ومنّه وكرمه ورحمته . قال الله تعالى : ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾[7] وقال تعالى :

---

(١) سورة يونس آية ٢ . (٢) سورة التوبة الآيتان ٢١ و ٢٢ .

(٣) سورة الشورى آية ٧ . (٤) سورة النساء آية ١١٥ .

(٥) سورة النساء الآيات ١١٩ - ١٢١ . (٦) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٧) سورة التوبة الآيتان ٧١ و ٧٢ .

﴿إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين ، لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[1] وقال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملًا ، أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً﴾[2] .

ثالثاً : المقارنة بين الكافر والمؤمن والعاصي والمطيع وأحوال كل منهما في الآخرة :

آ – **قال تعالى** : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون﴾[3] وقال تعالى : ﴿أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمناً يوم القيامة﴾[4] وقال تعالى : ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾[5] وقال تعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾[6] وقال تعالى : ﴿لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون﴾[7] .

ب – قال تعالى : ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[8] وقال تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

---

(١) سورة الحجر الآيات ٤٥ – ٤٨ . (٢) سورة الكهف الآيتان ٣٠ و ٣١ .

(٣) سورة السجدة آية ١٨ . (٤) سورة فصلت آية ٤٠ .

(٥) سورة القصص آية ٦١ . (٦) سورة ص آية ٢٨ .

(٧) سورة الحشر آية ٢٠ . (٨) سورة النساء الآيتان ١٣ و ١٤ .

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[1] وقال تعالى : ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً**﴾[2] .

ج – قال تعالى : ﴿**إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً**﴾[3] .

قال الأعمش عن ابن عمر : إذا احترقت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها بيضاً أمثال القراطيس . وعن الحسن قوله : (كلما نضجت جلودهم) الآية قال : تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة ثم قيل لهم : عودوا فعادوا . نعوذ بالله من ذلك . وروى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد**»[4] أعاذنا الله من ذلك .

أين هذا المصير المؤلم والعذاب المقيم من حال المؤمنين ونعيمهم المقيم تعال معي أخي المسلم لنرى حالة المؤمنين في جنات النعيم كما وصفها الله لنا في الآية التالية : قال تعالى : ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلًا ظليلًا**﴾[5] .

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات ..) الآية : هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري من تحتها الأنهار في جميع فجاجها ومحالها وأرجائها حيث شاءوا وأين أرادوا ، وهم فيها خالدون أبداً لايحولون ولايزولون

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ . (٢) سورة الجن آية ٢٣ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٦ . (٤) تفسير ابن كثير ج : ١ ص : ٤٠٤ و ٤٠٥ .

(٥) سورة النساء الآية ٥٧ .

ولايبغون عنها حولًا ، وقوله تعالى : (لهم فيها أزواج مطهرة) أى من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة والصفات الناقصة . (وندخلهم ظلًا ظليلًا) أى ظلًا عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها شجرة الخلد**»[1] رواه ابن جرير وأخرجه الشيخان بنحوه .

وإليك أخي المسلم صورة أخرى لأهل النار وأهل الجنة : قال تعالى : ﴿**فالذين كفروا قطعت له ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾ اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ياعزيز ياغفار يارب العالمين . إنها صورة رهيبة ، إنه وصف يجعل الولدان شيباً لو تدبره الانسان وعاش معانيه . (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت لهم مقطعات من النار نعوذ بالله من ذلك . (يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود) إذا صب على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة . قال سعيد بن جبير : هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء وكذلك تذوب جلودهم[2] . أعاذنا الله والمسلمين من ذلك .

هل يستطيع الانسان الصبر على هذا العذاب ؟ كلا ! والله !

إن الانسان في هذه الدنيا لايستطيع أن يمس النار بيده مساً خفيفاً ولو لثانية واحدة ومعلوم أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة . وأقرب من هذا أذكر مثالًا حياً : لو فقد حذاؤك منك في يوم شديد الحرارة واضطررت للسير مسافة غير بعيدة على ذلك الاسفلت الشديد الحرارة بدون حذاء . إنك ستشعر أن هذا عذاب شديد لاتستطيع ولابمقدورك تحمله . وورد في الحديث أن أخف أهل النار عذاباً يوم القيامة من يلبس نعلين من نار يغلي بهما دماغه

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ١ ص : ٤٠٥ . (٢) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٥٣٦ .

فيظن أنه أشد أهل النار عذاباً ، وهو أخف أهل النار . اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك يا الله . اللهم إنا نشهدك بأنا عبيد ضعاف لانقوى على عذابك ولانصبر عليه فقنا عذابك يا أرحم الراحمين .

أين هذا العذاب وهذه الآلام ، وهذه الثياب المقطعة والمفصلة من النار والحميم الذي يصهر ما في البطون والجلود . أين هذا كله من قوله تعالى : ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**﴾[1] .

قارن أخي المسلم ! بين (قطعت لهم ثياب من نار) وبين (ولباسهم فيها حرير) ، قارن بين (يصهر به ما في بطونهم والجلود) وبين (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) ، قارن بين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) وبين (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[2] .

وصورة ثالثة وأخيرة أخي المسلم لأهل الجنة وأهل النار : قال تعالى : ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم**﴾[3] (فيها أنهار من ماء غير آسن) أى غير متغير الرائحة . (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة . (وأنهار من خمر لذة للشاربين) أى لم تدنسها الأرجل ولم تُرنِّقْها الأيدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم طيبة الشراب لايتكرهها الشاربون[4] (وأنهار من عسل مصفى) أى من الشمع والقذى خلقه الله

---

(١) سورة الحج الآيتان ٢٣ و ٢٤ . (٢) سورة الرعد الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٣) سورة سيدنا محمد ﷺ آية ١٥ . (٤) تفسير القرطبي ج : ١٦ ص : ١٥٧ .

كذلك لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل .

وروى الترمذي عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال : «**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد**» وقال حديث حسن صحيح .

(ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) (كمن هو خالد في النار) قال الفراء : المعنى أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار ؟ وقال ابن كيسان : مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والأنهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم ومثل أهل الجنة في النعيم المقيم كمثل أهل النار في العذاب المقيم . (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) أي حاراً شديد الغليان ، إذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم . أعاذنا الله من ذلك[1] .

وبعد هذه الصور المتعددة التي أوردتها من كتاب الله العزيز أسأل الله أن يوقظ في نفوسنا الهمة في طلب الجنة بالجد والاجتهاد في التزود بالأعمال الصالحة وأن يوفقنا للابتعاد عن كل ما يغضبه سبحانه ويجلب سخطه ، إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

وإليك أخي المسلم ! بعض أسماء الجنة التي وفقني الله في استخراجها من آيات الكتاب العزيز .

١ - جنات عدن	٢ - جنات الفردوس	٣ - جنات المأوى
٤ - جنة الخلد	٥ - جنات النعيم	٦ - جنة عالية
٧ - دار السلام	٨ - عقبى الدار	٩ - الحسنى
١٠ - دار المتقين	١١ - دار المقامة	١٢ - رحمة الله

وهذه بعض أسماء النار أعاذنا الله وأجارنا منها بفضله ومنّه :

١ - النار	٢ - جهنم	٣ - سعيراً
٤ - سقر	٥ - لظى	٦ - غياً

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٦ ص : ١٥٧ .

٧ - الجحيم ٨ - الحطمة ٩ - سوء الدار
١٠ - عذاب السموم ١١ - عذاب الحريق ١٢ - الغاشية ، في قول بعض المفسرين كسعيد بن جبير ومحمد بن كعب .

والآن أخي المسلم تعال بنا نتتبع بعض الآيات الكريمة التي تحثنا على المسارعة إلى فعل الخيرات والمنافسة فيها لأننا في هذه الدنيا في دار العمل ، وغداً ننتقل إلى الدار الآخرة التي هي دار الجزاء والحساب . قال تعالى : ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ . قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : يتضمن هذا الأمر الحث على المبادرة والاستعجال إلى فعل جميع الطاعات بالعموم(١) وقال تعالى : ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾(٢) وقال تعالى مادحاً بعض أنبيائه عليهم السلام جميعاً : ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾(٣) وقال تعالى مادحاً عباده المؤمنين بهذا الوصف العظيم : ﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾ أى هم مع احسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه ، وجلون من مكره بهم(٤) (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يؤمنون بآياته الكونية والشرعية الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى : مثل الليل والنهار والشمس والقمر والسموات والأرض ، والآيات الشرعية آيات القرآن الكريم التي تضمنت أحكام الشريعة الاسلامية وغيرها من أخبار الأمم الماضية وما كان وما سيكون . (والذين هم بربهم لايشركون) أى لايعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لاإله إلا الله وأنه لانظير له ولاكفء له . (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) أى يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لايتقبل منهم .

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها رسول الله ﷺ قالت : يارسول الله (يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) هو الذي يسرق ويزني

---

(١) تفسير القرطبي ج : ٢ ص : ١١٢ . (٢) سورة آل عمران آية ١٣٣ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٩٠ . (٤) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٥٦٨ .

ويشرب الخمر وهو يخاف الله عزوجل ؟ قال : لا بنت أبي بكر يا بنت الصديق (**ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عزوجل**)[١] رواه الامام أحمد . (أولئك يسارعون في الخيرات) أى في الطاعات كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغرفات وهم لها سابقون . (وهم لها سابقون) أى أنهم يسبقون إلى أوقاتها وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى (وهم لها سابقون) سبقت لهم من الله السعادة فلذلك سارعوا في الخيرات . وقيل : وهم من أجل الخيرات سابقون [٢] . وقال تعالى : ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**﴾[٣] . قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : أى سارعوا بالأعمال الصالحة التي توجب لكم المغفرة من ربكم وقيل : سارعوا بالتوبة لأنها تؤدي إلى المغفرة .

وبالتجربة العملية وجد أن الانسان إذا هم بفعل خير ونفذه على الفور تيسر له تنفيذه وإذا هم بفعل خير وتباطأ في تنفيذه فقد يثقل عليه ولاينفذه ، مثال ذلك : حين ينادى للصلاة فلو أسرع الانسان في الخروج إليها وجدها سهلة ميسرة خفيفة على النفس ، ولكنه لو تباطأ حتى تقام الصلاة فإنها تثقل عليه ويصليها في منزله أو يؤخرها حتى يخرج وقت أدائها ويصليها بعد ذلك قضاء ، ولو هم الانسان باخراج صدقة تطوع فأسرع في إخراجها فإنه يجد تنفيذ ذلك سهلاً ميسراً ولو تباطأ في إخراجها ثقلت على النفس وشحت بها فلم يخرجها .

ولذلك نجد القرآن يأمرنا بالمسارعة والمسابقة والمنافسة في أعمال الخير التي تنفعنا في دنيانا وأخرانا .

في حين أننا نجد القرآن يأمرنا بالمشي فقط وليس بالمسارعة في أمر الرزق كما يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في**

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٥٦٨ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٢ ص : ٨٩ .

(٣) سورة الحديد آية ٢١ .

مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[1] .

لماذا ؟ لأن الرزق مضمون ومقدر عند الله والسعي عليه ما هو إلا سبب لنيله ولكننا مع ذلك نجدّ ونجتهد في تحصيله ونجعل كل همنا هو تحصيل الرزق . ولقد طمأننا الله على أن الرزق مضمون ومكفول عنده بقوله تعالى : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[2] . يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية : أخبر الله سبحانه وتعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها وأنه يعلم مستقرها أى يعلم أين منتهى سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها[3] .

ولو جد واجتهد الانسان في أمر الآخرة كما يجد ويجتهد في أمر الدنيا لفاز فوزاً عظيماً فمثلاً بالنسبة لأمر الدنيا لو كان ميعاد عمل الانسان الساعة السادسة صباحاً فإنه يستعد قبله بوقت طويل فيستيقظ من نومه قبل ذلك الموعد على الأقل بنصف ساعة حتى يتهيأ للذهاب إلى العمل في الموعد المحدد في حين أن الانسان يعلم أن أذان الفجر الساعة الرابعة أو الخامسة ولايهتم بذلك ويصلي متى استيقظ إلا من رحم الله وحافظ على صلاة الجماعة .

وقِسْ على هذا بقية أمور الدنيا مع أمور الآخرة إلا من رحمه الله ووفقه للعمل الصالح . وأذكر حكمة جليلة أختم بهذا هذا الفصل لأحد العلماء الصالحين يبين لنا أن من يُجِدّ في أمر الدنيا ويهمل أمر الآخرة أو يقصر فيه ليس على نور من ربه وبينة من أمره ، يقول ذلك العالم : إن اجتهاد الانسان فيما ضمن له (أى من الرزق) وتقصيره فيما طلب منه (من العبادات وأنواع القربات) دليل على انطماس البصيرة فيه . والعياذ بالله .

اللهم نور بصائرنا وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا يارب العالمين .

---

(١) سورة الملك آية ١٥ .

(٢) سورة هود آية ٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٢١١ .

﴿ فصل في فضل الاستعاذة والبسملة وبعض السور والآيات ﴾

أولًا : فضل الاستعاذة :

١ – روى مسلم في صحيحه عن سليمان بن صُرَد قال : استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه فنظر إليه النبي ﷺ فقال : «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فقام إلى الرجل رجل ممن سمع من النبي ﷺ فقال هل تدري ماقال رسول الله ﷺ آنفاً ؟ قال : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقال له الرجل : أمجنوناً تراني ؟ وأخرجه البخاري أيضاً .

٢ – وروى مسلم كذلك عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ ، فقال له رسول الله ﷺ : «**ذاك شيطان يقال له خنْزب فإذا أحسست فتعوذ بالله واتفل عن يسارك ثلاثاً**» قال : ففعلت فأذهبه الله عني.

من فوائد الحديث الأول :

أولًا : إن الغضب قطعة من النار يخرج الانسان عن صوابه .

ثانياً : إن مما يطفيء الغضب الاستعاذة بالله والوضوء وتغيير الحالة التي يكون عليها الانسان فإن كان جالساً يضطجع أو يقوم أو يذهب من هذا المجلس .

ثالثاً : إن الغضب إذا تملك بالانسان لعبت به الشياطين كما يلعب الصبيان بالكرة .

رابعاً : ينبغي على الانسان أن يستجيب للنصيحة .

خامساً : إن الالتجاء إلى الله والتحصن به يحفظ الانسان من وساوس الشيطان ودسائسه .

من فوائد الحديث الثاني :

أولًا : حرص الشيطان على افساد عبادة الانسان وصرفه عنها .

ثانياً : الحذر من التمادي مع وساوس الشيطان حتى لايضيع الانسان ثواب عبادته .

ثالثاً : استحباب الاستعاذة عند ما يشعر الانسان بوساوس الشيطان .

رابعاً : من أسباب استحواذ الشيطان على الانسان مايلي :

آ – غفلة القلب ونسيان ذكر الله .

ب – الاشتغال بملهيات الدنيا .

ج – مجالسة غير الصالحين من عباد الله .

ثانياً : فضل البسملة وفوائدها :

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : «**أن رسول الله ﷺ كان لايعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)** رواه أبوداود باسناد صحيح . وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : «**من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر الذين هم خزنة جهنم فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد (أى وقاية) فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة النار الذين قال الله فيهم (عليها تسعة عشر) وهم يقولون في كل أفعالهم (بسم الله الرحمن الرحيم) فمن هنالك هي قوتهم وببسم الله استضلعوا**»[1] .

ويستحب ذكر البسملة عند فعل كل أمر مباح مثل : الأكل والشرب لقول النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة : «**ياغلام ! سمّ الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك**» رواه مسلم .

عند الجماع : لقول النبي ﷺ : «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن**

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٦٥ .

يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً» رواه الشيخان .

وفي الاستشفاء : شكا عثمان بن أبي العاص وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال له النبي ﷺ : «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاث مرات ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر**»(١) .

هل البسملة آية من كل سورة أم لا ؟

روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال : البسملة تيجان السور قال القرطبي بعد ذكره هذا القول : وهذا يدل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولاغيرها ، ثم ذكر بعد ذلك أن للعلماء في البسملة ثلاثة أقوال هي :

أولًا : أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولاغيرها وهو قول الامام مالك .

ثانياً : أنها آية من كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول عبد الله بن المبارك .

ثالثاً : قال الامام الشافعي : هي آية في الفاتحة وتردد قوله في سائر السور فمرة قال : هي آية من كل سورة إلا بداية سورة التوبة ، ومرة قال : ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها . ولكن لاخلاف بين العلماء أنها آية من القرآن في سورة النمل(٢) .

ثالثا : فضل سورة الفاتحة :

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال ﷺ : «**والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولافي الانجيل ولافي الزبور ولافي القرآن مثلُها ، وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت**»(٣) .

٢– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**»(٤) وأراد بأم القرآن : فاتحة الكتاب .

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) تفسير القرطبي ج: ١ ص : ٦٦ .

(٣) رواه الامام أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم . (٤) رواه البخاري .

وسميت بأم القرآن : لأنها أصل القرآن وأم كل شيء أصله . وسميت مكة أم القرى ، كأنها أصل القرى ومعظمها .

وسميت السبع المثاني : لأنها سبع آيات ، والمثاني لأنها تثنى في الصلاة في كل ركعة[1] .

فائدة في عدد آيات سورة الفاتحة :

اتفق علماء عدّ الآي على أن سورة الفاتحة سبع آيات اجمالًا ، ولكنهم اختلفوا في تفصيل ذلك على النحو التالي :

أولًا : عدّ ابن كثير المكي وأهل الكوفة البسملة آية من سورة الفاتحة ولم يعدّوا قوله تعالى : (أنعمت عليهم) فتكون الآية السابعة من (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين) .

ثانياً : عدّ المدنيان والشامي والبصري (صراط الذين أنعمت عليهم) الآية السادسة و (غير المغضوب عليهم ولاالضالين) الآية السابعة ولم يعدو البسملة آية .

ملاحظة :

نجد أن في المصحف الذي بين أيدينا والمطبوع على رواية حفص عن عاصم قد عُدّت البسملة آية فوضعت دائرة وبداخلها رقم (١) عند نهاية (بسم الله الرحمن الرحيم) لأن حفصاً عن عاصم ، وعاصم من أهل الكوفة ولذلك لم يعد (أنعمت عليهم) آية[2] .

أسماء سورة الفاتحة كما ذكرها القرطبي في تفسيره :

الأول : سورة الحمد ، لأن فيها ذكر الحمد .

الثاني : فاتحة الكتاب : سميت بذلك لأنها تفتتح بها قراءة القرآن لفظاً وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطاً وتفتتح بها الصلوات .

---

(١) شرح السنة للامام البغوي ج : ٤ ص : ٤٤٥ .

(٢) بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ص : ٦٥ و ٦٦ .

الثالث والرابع : أم الكتاب وأم القرآن : فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «**قال رسول الله ﷺ الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني**» وقال : هذا حديث حسن صحيح .

الخامس : القرآن العظيم : سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عزوجل بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والاخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا باعانته تعالى ، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم .

السادس : الرقية : لما ثبت في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال له فيه الرسول ﷺ : «**وما يدريك أنها رقية**» .

السابع : الوافية : قال سفيان بن عيينة لأنها لاتنتصف ولاتحتمل الاختزال .

الثامن : الكافية : قال يحيى بن أبي كثير : لأنها تكفي عن سواها ولايكفي سواها عنها[1] .

ويُسَنُّ لقاريء القرآن أن يقول (آمين) بعد الفراغ من قراءة الفاتحة عند (ولاالضالين) ، ومن المعلوم أن لفظ (آمين) ليس من القرآن ، ومعناها : اللهم استجب لنا . وقال الترمذي معناه لاتخيب رجاءنا . وثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا أمّن الامام فأمّنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه**»[2] .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**إذا قال الامام : غير المغضوب عليهم ولاالضالين فقولوا آمين ، فإن الملائكة تقول : آمين وإن الامام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه**[3] .

وقد ذكر الامام البغوي في شرح السنة أن لفظ آمين : خاتم رب العالمين . وقيل : معناه : أنه طابع الله على عباده يدفع الله به الآفات والبلايا عنهم كخاتم الكتاب الذي يصونه ويمنع من افساده واظهار

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٧٩ . (٢) رواه الامام مالك في الموطأ والبخاري ومسلم وغيرهم .
(٣) رواه أحمد والنسائي باسناد صحيح .

مافيه[١] .

وذكر الامام القرطبي في تفسيره عند ذكره حديث (إذا أمن الامام فأمنوا) المتقدم ذكره قال : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فترتبت المغفرة للذنب على مقدمات أربع تضمنها هذا الحديث : الأولى : تأمين الامام الثانية : تأمين من خلفه ، الثالثة : تأمين الملائكة ، الرابعة : موافقة التأمين . قيل في الاجابة وقيل : في الصفة من اخلاص الدعاء وحضور القلب واليقين بالاجابة ، لقول النبي ﷺ : «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ**»[٢] .

رابعاً : فضل سورة البقرة وآل عمران :

١ – عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**اقرأوا القرآن فانه يأتي شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فِرقان من طير صواف تحاجّان عن صاحبهما ، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولايستطيعها البطلة**»[٣] .

ومعنى الزهراوين : أى المنيرتان ، ومعنى غيايتان : قال أبو عبيد : كل شيء أظلك فوق رأسك مثل السحابة يقال له غياية . ومعنى لايستطيعها البطلة : أى السحرة يقال أبطل إذا جاء بالباطل[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «**بعث رسول الله ﷺ بعثاً (وهم ذوو عدد) فاستقرأهم ، فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال : ما معك يا فلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم . قال : اذهب فأنت أميرهم**»[٥] .

---

(١) شرح السنة للبغوي ج : ٣ ص : ٦٣ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٨٩ .
(٣) رواه مسلم . (٤) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٥٧ . (٥) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لاتجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**»(١) .

ومما يستفاد من الاحاديث الشريفة السابقة ما يلي :

أولًا : عظم أمر سورتي البقرة وآل عمران حيث أمر النبي ﷺ بقراءتهما وإنهما يظلان صاحبها وتحاجان عنه يوم القيامة .

ثانياً : أن حفظ سورة البقرة بركة لمن أخذ به وحسرة على من تركه .

ثالثاً : عدم مقدرة السحرة على الحاق أذى بمن يحفظ سورة البقرة بإذن الله تعالى .

رابعاً : أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ينفر منه الشيطان .

خامساً : أن من يحفظ سورة البقرة له أفضلية ومقدم على غيره ممن لايحفظها .

سادساً : أن سورة البقرة سنام القرآن كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ : «**إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن سورة البقرة**»(٢) .

خامساً : فضل آية الكرسي :

إن آية الكرسي لها شأن عظيم ونفع عميم ، ومن داوم على قراءتها فله أجر كريم وإنها لسيدة آي القرآن ، كما أخبر بذلك سيد ولد عدنان ﷺ ما تعاقب الجديدان .

١ – عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ : «**أبا المنذر ! أي آية من كتاب الله أعظم ؟ قلت : (الله لاإله إلا هو الحي القيوم) ، قال فضرب بصدري ثم قال : (ليهنك العلم) ، ثم قال ﷺ : (والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش)**(٣) .

٢ – عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فقال : ياأباذر هل

---

(١) رواه مسلم والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . (٢) تفسير القرطبي ج: ١ ص: ١٠٧

(٣) أخرجه مسلم وأبوداوود .

صليت ؟ قلت : لا ! قال : (قم فصل) قال : قمت فصليت ثم جلست . فقال : ياأباذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن . قال : قلت : يارسول الله أو للانس شياطين ؟ قال : نعم . قال : قلت : يارسول الله الصلاة ! قال : خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر . قال : قلت : يارسول الله فالصوم ، قال : فرض مجزي وعند الله مزيد . قلت : يارسول الله فالصدقة ، قال : أضعاف مضاعفة . قلت : يارسول الله فأيها أفضل ؟ قال : جهد مقل أو سرّ إلى فقير . قلت : يارسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم . قلت: يارسول الله ونبي كان ؟ قال : نعم نبي مكلّم . قلت : يارسول الله كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيراً . وقال مرة خمسة عشر . قلت : يارسول الله ! أي ما أنزل إليك أعظم ؟ قال : آية الكرسي : (الله لاإله إلا هو الحي القيوم)[1] .

٣ – وروى الترمذي بسنده عن النبي ﷺ قال : **«لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن : آية الكرسي»**[2].

٤ – عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ **«من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»**[3] .

٥ – ورد في مسند الدارمي قال الشعبي : قال ابن مسعود : لقي رجل من أصحاب النبي ﷺ رجلًا من الجن فصرعه الانسي . فقال له الانسي : إني لأراك ضئيلًا شختياً (أى دقيقاً مهزولًا) كأنّ ذُرَيْعَتَيْكَ ذريعتا كلب فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك ؟ قال : لا والله ! إني منهم لضليع (أى جيد الأضلاع) كناية عن القوة – ولكن عاودني الثانية فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك . قال : نعم . فصرعه قال : تقرأ آية الكرسي : (الله لاإله إلا هو الحي القيوم) قال : نعم . قال : فإنك لاتقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن أبي ذر الغفاري . (٢) تفسير ابن كثير ج:١ ص:٢٢٩ .

(٣) رواه ابن مردويه والنسائي .

له خبج كخبج الحمار ثم لايدخله حتى يصبح . فقيل لعبد الله بن مسعود : أهو عمر ؟ فقال : ماعسى أن يكون إلا عمر[1] .

ومما تقدم نستفيد مايلي :

(آ) أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله وهي سيدة آي القرآن .

(ب) أن آية الكرسي تقدس الرحمن عزوجل بلسان وشفتين عند ساق العرش .

(ج) ركعتا تحية المسجد من السنن المؤكدة .

(د) من حافظ على قراءة آية الكرسي عقب كل صلاة مفروضة ليس بينه وبين دخول الجنة إلا أن يموت .

(هـ) قوة الشكيمة التي كان يتمتع بها سيدنا عمر رضي الله عنه والتي صرع بها الجني .

(و) قراءة آية الكرسي في البيت تحرسه من الشياطين وتمنع أصحابه من شرهم .

(ز) أن اسم الله تعالى تكرر في آية الكرسي ثماني عشرة مرة بين ظاهر ومضمر . والله أعلم .

سادساً : فضل خواتيم سورة البقرة :

١ - عن أبي مسعود قال : قال النبي ﷺ : «**الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه**»[2] .

ومعنى كفتاه : قيل : كفتاه في الايمان لما اشتملت عليه من الايمان بالله والملائكة والكتب والرسل والابتهال إلى الله ودعائه إلى غير ذلك . وقيل : كفتاه شر الشيطان . وقيل : كفتاه بثوابهما عن طلب شيء آخر . وقال : أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن[3] .

---

(١) تفسير القرطبي ج : ٣ ص : ١٧٥ و ١٧٦ . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) شرح السنة للبغوي ج : ٤ ص : ٤٦٥ .

٢ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال : هذا باب فتح من السماء مافتح قط . فنزل منه ملك ، فأتى النبي ﷺ فقال : «**أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته**»(١) .

معنى فسمع نقيضاً : أي سمع صوتاً .

٣ – عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي**»(٢) .

٤ – عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال : لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة ، إليها ينتهي مايعرج من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهي مايهبط من فوقها فيقبض منها (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال : فراش من ذهب ، قال : وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً : (أعطي الصلوات الخمس) ، (وأعطي خواتيم سورة البقرة) ، (وغفر لمن لايشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات)(٣) .

بعض مايستفاد من الأحاديث الشريفة المتقدمة :

(آ) عظم قدر النبي ﷺ عند الله عزوجل .

(ب) الأجر العظيم والخير العميم في قراءة خواتيم سورة البقرة .

(ج) استحباب المحافظة على قراءة آية الكرسي وخ وخواتيم سورة البقرة قبل النوم

سابعاً : فضل السبع الطوال :

١ – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن بي ﷺ قال: «**من أخذ السبع الطوال فهو خير**»(٤) والسبع الطوال هي :

(١) سورة البقرة (٢) سورة آل عمران (٣) سورة النساء

---

(١) رواه مسلم والنسائي . (٢) رواه الامام أحمد .

(٣) رواه مسلم . (٤) رواه الامام أحمد .

(٤) سورة المائدة (٥) سورة الأنعام (٦) سورة الأعراف

(٧) سورتا الأنفال والتوبة

وهناك قول لبعض العلماء بأن آخر السبع الطوال سورة الأنفال ، كما ذكر ذلك الامام البغوي في كتابه شرح السنة[١] .

وذكر القرطبي في تفسيره عند بداية سورة التوبة : أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قلت : لعثمان رضي الله عنه : ما حملكم إلى أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني وإلى (براءة) وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطوال ، فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه شيء يدعو من يكتبه عنده فيقول : «**ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا**» وتنزل عليه الآيات فيقول : «**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**» **وكانت (الأنفال) من أوائل ما أنزل و(براءة) من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها فمن ثَمَّ قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)**[٢] . **وهذا يرجح أن آخر السبع الطوال سورة التوبة .**

٢ - عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال : «أعطيت السبع الطوال مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الانجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضلت بالمفصل»[٣] .

السبع : أي السور السبع الطوال . والمئين : السور التي زاد عدد آيات كل سورة منها عن المائة . والمثاني : السور التي لم يتجاوز عدد آيات كل سورة منها المائة . المفصل : من سورة قٓ إلى سورة الناس . وسيأتي تفصيل أكثر في فصل تحزيب القرآن إن شاء الله .

---

(١) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٦٨ . (٢) رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

(٢) قال صاحب كتاب البرهان هذا حديث غريب وسعيد بن بشير فيه لين وأخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده عن عمران عن قتادة .

ثامناً : فضل سورة الكهف وتنزل الملائكة لقراءة القرآن ليلاً :

١ - عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين (أى حبل طويل شديد الفتل) أي أنه ربطه بحبلين ، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : تلك السكينة تنزلت بالقرآن(١) .

هذا الحديث يبين لنا أن السكينة تتنزل على مجلس القرآن حتى ولو لم نرها كما في الحديث الصحيح ومن كشف الله له عنها رآها .

وحديث أسيد بن حضير رضي الله عنه يبين لنا أن الملائكة تتنزل أيضاً لسماع القرآن فقد ورد في الصحيحين أن أسيداً رضي الله عنه كان يقرأ من الليل سورة البقرة إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت (أي اضطربت) فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، عرجت حتى ما يراها ، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت الناس ينظرون إليها لاتتوارى منهم(٢) .

٢ - وعن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»(٣) .

٣ - وعن النواس بن سمعان قال : قال النبي ﷺ : «**من أدركه (أي الدجال فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»(٤) .

تاسعاً : فضل سورة الملك :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**إن سورة من كتاب الله ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي : ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾**(٥) .

---

(١) متفق عليه . (٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه الامام أحمد والترمذي وقال : حديث حسن .

٢ – وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خِباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر فإذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لاأحسب أنه قبر ، فإذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها . فقال رسول الله ﷺ : «**هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**»(١) .

ممايستفاد من هذين الحديثين :

أولًا : فضل سورة الملك وأنها تشفع لصاحبها حتى يغفر له .

ثانياً : أن سورة الملك تسمى المانعة والمنجية والواقية .

ثالثاً : أنها تجادل عن صاحبها في القبر كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : (إذا وضع الميت في قبره فيؤتى من قبل رجليه فيقال : ليس لكم عليه سبيل ، فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل ، إنه يقرأ بي سورة الملك ، ثم قال ابن مسعود هي المانعة من عذاب الله)(٢) .

عاشراً : فضل سورة الاخلاص :

١ – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ : بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ(قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ أخبروه أن الله تعالى يحبه(٣) .

٢ – عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ(قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٨ ص : ١٣٤ .

(٣) رواه البخاري .

وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه ، فقالوا : إنك تفتح بهذه السورة ثم لاترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى فاما أن تقرأ بها واما أن تدعها وتقرأ بالأخرى . فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : يافلان «مايمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ ، فقال : إني أحبها قال ﷺ : حبك إياها أدخلك الجنة[1] .

٣ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا أيّنا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال : الله الواحد الصمد : ثلث القرآن[2] .

٤ – عن عبد الله بن حبيب قال : أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال : (قُلْ) فسكت ، قال : قل ، فقلت : ماأقول ؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً تكفيك كل يوم مرتين[3] .

٥ – عن سهل بن معلى بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة ، فقال عمر رضي الله عنه : إذاً نستكثر يارسول الله ، فقال ﷺ : الله أكثر وأطيب[4] .

٦ – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[5] .

---

(١) رواه البخاري .   (٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أبوداود والترمذي والنسائي .   (٤) رواه أحمد والدارمي .

(٥) رواه البخاري وأهل السنن .

ومما يستفاد من الاحاديث الواردة في فضل سورة الاخلاص :

(١) أن ثوابها يعدل ثواب ثلث القرآن .

(٢) أن حبها يدخل صاحبه الجنة .

(٣) من داوم على قراءتها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة .

(٤) استحباب قراءتها مع المعوذتين ثلاث مرات صباحاً ومساءً .

(٥) استحباب قراءتها مع المعوذتين عند النوم ثلاث مرات في الكفين ومسح الجسد بهما .

الحادي عشر : فضل سورتى الفلق والناس :

١ - عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلهن قط ، (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)[١] .

٢ - وعنه رضي الله عنه قال : بينا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي : يا عقبة ! ألاتركب ؟ قال عقبة : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيّة (أى وقت قصير) ثم ركب ثم قال : (يا عقب ! ألاأعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟) قلت: بلى يارسول الله ! فأقرأني : (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ، ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما . ثم مر بي فقال: كيف رأيت يا عقب ؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت[٢] .

٣ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانسان . فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما[٣] .

ومما يستفاد من الأحاديث المتقدمة مايلي :

(آ) أن تلاوة سورتى الفلق والناس تحفظ صاحبهما من الحسد .

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي . (٢) أخرجه أحمد وأبوداود والنسائي .

(٣) أخرجه النسائي وابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(ب) استحباب المداومة على قراءتهما صباحاً ومساءً .

(ج) إذا خاف الانسان من عين انسان أو جان فليقرأ سورتي الفلق والناس

فصل في ذكر بعض الأحاديث الشريفة الواردة في فضل القرآن الكريم

١ – عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كان يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران . وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد : قال : كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرَق (أى ضياء ونور) أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما(١) .

٢ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار**»(٢) .

ومعنى الحسد هنا : الغبطة ، وهي أن يتمنى الانسان نعمة مثل ما أعطى الله غيره من غير أن يتمنى زوال نعمة الغير .

٣ – عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله أوصني . قال : عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله . قلت : يارسول الله زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء(٣) .

٤ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(٤) .

٥ – وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**يجيء القرآن فيقول : يارب حلّه (أى ألبس صاحبي حللًا) فيُلبَس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب**

---

(١) رواه مسلم والامام أحمد انظر شرح السنة ج: ٤ ص: ٤٥٤ . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه ابن حبان . (٤) رواه مسلم .

زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة[١] .

٦ – عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[٢] .

وقد سئل الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث مَن المخصوص بهذه الفضيلة ؟ فأجاب بقوله : الخبر المذكور خاص بمن يحفظ القرآن عن ظهر قلب لا من يقرأ في المصحف لأن مجرد القراءة في الخط (أي بالنظر) لايختلف الناس فيها ولايتفاوتون قلة وكثرة وإنما الذي يتفاوتون فيه هو الحفظ عن ظهر قلب ، فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم . ومما يؤيد ذلك أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظ لايسقط بها الطلب فليس لها كثير فضل كفضل الحفظ ، فتعين أن الحفظ عن ظهر قلب هو المراد في الخبر وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل[٣] .

٧ – وورد عن أبي عبد الرحمن عبد الله حبيب السلمي أن كان إذا ختم عليه أحد الناس القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له : يا هذا اتق الله ، فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذي علمت[٤] .

٨ – وروى الدارمي عن وهب الذماري قال : من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والاحكام ، قيل : السفرة الملائكة والاحكام : الأنبياء عليهم السلام[٥] .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أبوداود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) كتاب : نهاية القول المفيد ص : ٢٤٧ .

(٤) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٨ و ٩ . (٥) تفسير القرطبي ج: ١ ص : ٩ .

٩ – وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن هذ القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايعوج فيقوم ولايزيغ فيستعتب ولاتنقضي عجائبه ولايخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما اني لاأقول : (آلٓمٓ) حرف ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و (ميم) حرف[١] .

١٠ – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لايهولهم الفزع الأكبر ولايناهم الحساب ، هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق (رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأمّ به قوماً وهم به راضون) . و (داع يدعو إلى الصلاة ابتغاء وجه الله) . و (عبد أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه)[٢] .

١١ – عن عامر بن واثلة أبي الطفيل أن نافعاً بن الحارث لقي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعُسفان وكان عمر قد استعمله على مكة . فقال له عمر رضي الله عنه : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال مولى من موالينا ، قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ! إنه رجل قاريء للقرآن ، عالم بالفرائض ، قاض . فقال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : إن الله يرفع بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين[٣] .

ومما تقدم من الأحاديث والآثار يستفاد مايلي :

(آ) عظم فضل القرآن الكريم على أصحابه الذين كانوا يعملون به في الدنيا يوم القيامة .

(ب) فضل سورتى البقرة وآل عمران وأنهما تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة .

---

(١) رواه البيهقي . (٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير باسناد لابأس به . (٣) رواه مسلم .

(ج) أن الحسد المباح (وهو الغبطة) يكون في الأعمال الصالحة وأولها حفظ القرآن .

(د) تلاوة القرآن نور لصاحبها في الأرض وذخر له في السماء .

(هـ) أن مجالس القرآن تتنزل عليها السكينة وتغشاها الرحمة وتحفها الملائكة وأصحابها مذكورون في الملأ الأعلى .

(و) الرفعة لصاحب القرآن في الدنيا قبل الآخرة ، ففي الدنيا يكون إمام الناس في الصلاة ويكون أميرهم في السفر والحضر ، وفي الآخرة يقال له اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا .

(ز) أن حامل القرآن من أفضل الناس عند الله إذا عمل بما علم .

(ح) أن القرآن مأدبة الله وفيه الشفاء لما في الصدور من الأمراض الحسية والمعنوية .

(ط) شفاعة القرآن لصاحبه يوم القيامة وأنه يلبسه تاج الكرامة وحلة الكرامة .

(ي) ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ ويداوم على تلاوته آناء الليل وآناء النهار لينال بذلك الثواب العظيم والأجر الكريم ورضا الله الحليم العليم .

(ك) فضيلة حفظ القرآن عن ظهر قلب على القراءة النظرية .

الخاتمة : أسأل الله حسنها :

فبعد أن قدمت ما تيسر لي تقديمه من آيات كريمة وأحاديث شريفة وأقوال ماثورة لطيفة دالة على فضل القرآن الكريم ومكانة صاحبه في الدنيا والآخرة والأجر العظيم الذي يدخره الله له في الآخرة .

وكان القصد من ذلك بيان بعض فضائل القرآن الكريم لأنه ليس لانسان عاجز مثلي أن يحصي فضائل القرآن كلها ، لعل الله سبحانه وتعالى ينفع به من يقرأه ويشرح صدره للاقبال على قراءة القرآن قراءة صحيحة ولعل حافظ القرآن الذي اختصه الله برحمته وأعطاه من فضله أن يعرف قيمة ماأولاه الله من نعمة وما أفاض عليه من منة فيقدر هذه النعمة حق قدرها ويقوم

بشكرها ويعمل على نشرها واذاعة خيرها ليكون ممن قال فيهم سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلّمه .

فإن الانسان يجد كثيراً ممن منّ الله عليهم بنعمة حفظ القرآن لكنهم لايقدرون هذه النعمة ولاتجد للقرآن أثراً في أخلاقهم أو تصرفاتهم .

ورحم الله الحسن البصري إذ يقول : والله ماتدبر القرآن بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى أن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله مايرى له القرآن في خلق ولاعمل[١] .

والانسان الذي أعطاه الله القرآن ولم يعرف قدر ماأوتي مثله كمثل انسان أعطي جوهرة عظيمة نفيسة ليس لها مثيل وهو مع هذا تراه فقيراً محتاجاً لأنه لايعرف قيمة ما لديه من ثروة .

فالقرآن أعظم وأنفس من أي شيء في هذه الحياة لأن الانسان مهما أوتي في هذه الحياة من نعيم أو من خيرات دنيوية حتى ولو كانت الدنيا كلها ملك يده فإن القرآن أعظم منها ، لماذا ؟ لأن متاع الحياة الدنيا لايدوم فإما أن يتركه الانسان بالموت وإما أن يتركه هو لأن الحياة لاتدوم على حال كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير**﴾[٢] .

ولذلك كانت الأعمال الصالحة هي الزاد الحقيقي الذي ينبغي للانسان العاقل أن يحرص على التزود والاستزادة منه ، وهو الذي أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن المنافسة الحقيقية تكون فيه كما قال تبارك وتعالى : ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[٣] فقال القرطبي عند تفسير هذا القول الكريم (أى في الذي وصفناه من أمر الجنة فليتنافس المتنافسون) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج: ٣ ص: ٢٠٢ . (٢) سورة آل عمران آية ٢٦ .

(٣) سورة المطففين آية ٢٦

وقيل : وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل[1] .

وهذا نظيره قوله تعالى: ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾[2] .

وكما قال تعالى : ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملًا**﴾[3] .

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية : أنها أي الباقيات الصالحات كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة .

ورجح هذا القول الطبري والقرطبي في تفسيريهما .

ومن بين الأعمال الصالحة إن لم يكن أفضلها تلاوة القرآن الكريم واستظهاره ، فالقرآن ينفع صاحبه في الدنيا ويؤنسه في قبره ويشفع له يوم القيامة عند الله عزوجل إذا كان ممن أحل حلاله وحرم حرامه وتأدب بآدابه .

أسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن قام بحق القرآن فأقام حروفه وحدوده وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه وتلاه حق تلاوته .

وأسأله سبحانه أن يشفع فينا القرآن العظيم ونبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، إنه جواد كريم ، بر رحيم ... آمين .

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ١٧٤ .

(٢) سورة الصافات آية ٦١ .

(٣) سورة الكهف آية ٤٦ .

﴿ الفصـــل الثـــاني ﴾

﴿ فضل تعلم القـرآن وتعليمه والسن المناسبة للحفظ ﴾

١ – قال الله تبارك وتعالى : ﴿**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك**﴾[١] وقال تعالى : ﴿**وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**﴾[٢] ، وقال تعالى على لسان رسوله ﷺ : ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن**﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ .

ورد عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : «مامن مؤمن من ذكر ولا أنثى حر ولا مملوك إلا ولله عزوجل عليه حق أن يتعلم من القرآن ويتفقّه في دينه ثم تلا هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين)[٤]

ومعنى الآية : لايصح ولاينبغي لأحد من البشر أعطاه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس اعبدوني من دون الله ولكن يقول لهم ادعوكم أن تكونوا علماء فقهاء مطيعين لله (بما كنتم تعلمون الكتاب) أي بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم إياه[٥] .

٢ – عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٦] قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الذي روى هذا الحديث عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه : ذلك أقعدني مقعدي هذا[٧] أى ذلك الحديث الشريف هو الذي جعل عبد الله السلمي يجلس يعلم الناس القرآن الكريم فترة طويلة من الزمن من خلافة عثمان رضي الله عنه إلى إمرة الحجاج أكثر من ستين سنة في المسجد

---

(١) سورة الكهف آية ٢٦ . (٢) سورة النمل آية ٦ . (٣) سورة النمل آية ٩١ و ٩٢ .

(٤) تفسير القرطبي ج : ٤ ص : ٧٩ . (٥) صفوة التفاسير ج : ١ ص : ٢١٣ .

(٦) رواه البخاري وأبوداود والترمذي . (٧) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٢٧ و ٤٢٨ .

الجامع بالكوفة مع أن السلمي رحمه الله كان على علم كبير بالحديث الشريف وغيره من العلوم التي يحتاجها الناس ولكنه فضل أن يجلس لتعليم القرآن عملاً بهذا القول الكريم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : ولاشك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه ومكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل .

وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله : ﴿**ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ والدعوة إلى الله تقع بأمور شتى ، من جملتها : تعليم القرآن العظيم وهو أشرف الجميع .

فإن قيل : فيلزم من هذا أن يكون المقريء أفضل من الفقيه ؟ قلنا : لا لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان (أهل اللغة العربية) فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها غيرهم بالاكتساب فكان الفقه سجية لهم . فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك لا من كان قارئاً أو مقرئاً محضاً لايفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أو يقرئه[1] . انتهى من كتاب شرح السنة للامام البغوي .

كيف تعلم رسول الله ﷺ القرآن ؟

قال الله عزوجل : ﴿**الرحمن ، علم القرآن**﴾[2] قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : أي علمه نبيه ﷺ حتى أداه إلى جميع الناس[3] . وقال تعالى : ﴿**لاتحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه**﴾[4] .

قال ابن كثير في تفسيره : هذا تعليم من الله عزوجل لرسول الله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من المَلَك ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق المَلَك في

---

(١) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٢٧ . (٢) سورة الرحمن الآيتان ١ و ٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج : ١٧ ص : ١٠٠ . (٤) سورة القيامة الآيات من ١٦ إلى ١٩ .

قراءته لشدة حرصه على أن لايفوته شيء فأمره الله عزوجل أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن يبينه ويوضحه في حالات متوالية .

فالحالة الأولى : (إن علينا جمعه) في صدرك و (قرآنه) أي أن تقرأه .

الحالة الثانية : (فإذا قرأناه) أي قرأه عليك المَلَك عن الله (فاتبع قرآنه) استمع له ثم اقرأه كما أقرأك .

الحالة الثالثة : (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا[١] . وهذه الآيات شبيهة بقول الله تعالى : ﴿**ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**﴾[٢] .

قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية : أعلم الله نبيه كيف يتلقى القرآن . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كان عليه السلام يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان[٣] .

وقيل كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه فنزلت : (ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) ونزل (سنقرئك فلاتنسى) ونزل (لاتحرك به لسانك) قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٤] .

ونستفيد من قوله تعالى : (فاتبع قرآنه) وما ورد في معناه : أي استمع له ثم اقرأه كما أقرأك الملك .

أنه لابد لمن يريد أن يقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة لابد له من أن يتلقى القرآن على انسان متقن لقراءة القرآن ، ففي الآية وتفسيرها دليل قوي على أهمية تلقي القرآن ، وذلك لأن قراءة القرآن ونطق الكلمات القرآنية ورسمها يختلف كثيراً عن قراءة ونطق الكلمات غير القرآنية ، فللقرآن رسم

---

(١) تفسير ابن كثير ج: ٣ ص : ٥٧٦ . (٢) سورة طه آية ١١٤ .

(٣) تفسير القرطبي ج : ١١ ص : ١١٦ . (٤) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ٦٩ .

خاص به معروف بالرسم العثماني وتختلف فيه كلمات كثيرة في رسمها عن الرسم الاملائي المتعارف عليه .

وإذا استطاع الانسان أن يقرأ الكلمات القرآنية قراءة صحيحة من حيث التشكيل ، فإنه لايحسن قراءتها ونطقها كما كان يقرؤها وينطق بها رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون . وحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) خير دليل على هذا فقوله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن) يفيد بأنه لابد للانسان من أن يتعلم كيف يقرأ القرآن قراءة صحيحة ولايمكن للانسان أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة إلا إذا تلقاها ، فمن المعلوم أنه لابد من الرجوع في كل علم إلى أهله الذين يعرفون صغيره وكبيره وجليه وخفيه ولقد أرشدنا الله تعالى إلى هذا بقوله عزوجل : ﴿**فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**﴾[1] وإذا أجاد الانسان تلاوة القرآن وأتقنها فعليه أن ينفذ الجزء الثاني من الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام : (وعلّمه) .

فكما تعلم الانسان تلاوة القرآن وأجادها وهذا خير فعليه أن ينقل هذا الخير إلى الغير فيعلم أصحابه ، يعلم جيرانه ، يعلم قبل ذلك أهل بيته ومن هم في رعايته ومسئوليته ، وإننا لنجد كثيراً ممن وفقهم الله لحفظ كتابه وأتقنوه وأجادوا تلاوته نجدهم مقصرين في هذه الناحية إلا من رحم الله . وفي الوقت نفسه نجد أناساً تعلموا فقط كيف يقرأون القرآن قراءة صحيحة وليسوا حفاظاً للقرآن أو يحفظون منه الشيء اليسير نجدهم يخصصون جزءاً كبيراً من وقتهم لتعليم الناس قراءة القرآن القراءة الصحيحة وقد وفقهم الله في ذلك توفيقاً كبيراً وتعلم على أيديهم خلق كثير كانوا لايحسنون قراءة التشكيل فضلًا عن معرفة أحكام التجويد ، فصاروا بفضل الله وتوفيقه ثم بجهود هؤلاء الإخوة مجيدين للتلاوة عارفين بأحكام التجويد مطبقين لها تطبيقاً جيداً فجزاهم الله خيراً ، وإن الدافع لهم على ذلك هو حبهم لكتاب الله عزوجل ، وتنفيذهم

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧ .

لقول النبي ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) فأكرم بها من شهادة وأنعم به من وسام يمنحهما النبي ﷺ لمن تحقق فيه الشرطان : (من تعلم القرآن وعلمه) .

أسأل الله أن يجعلنا ممن يتحقق فيهم هذا القول الكريم وينطبق عليهم هذا الوصف العظيم .

٣ - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران[(١)] .

السفرة : هم الملائكة ، سموا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس كالسفير الذي يصلح بين القوم .

وهذا الحديث يوضح لنا شيئين في غاية الأهمية :

الأول : إن الذي يوفق لقراءة القرآن بمهارة يكون مثل الملائكة الكرام في تلاوة القرآن .

والانسان لايكتسب هذه المهارة إلا بأشياء منها :

(آ) تلقي القرآن وقراءته قراءة صحيحة على شيخ متقن قبل الشروع في الحفظ .

(ب) المداومة والاستمرار في قراءة القرآن غيباً ونظراً آناء الليل وأطراف النهار .

(ج) قراءة القرآن بترتيل وتؤدة وطمأنينة وتدبر .

(د) الاقبال على تلاوة القرآن بحب لها وشغف لا بفتور وملل .

ولقد كان بين الصحابة الكرام في زمن النبي ﷺ المهرة في قراءة القرآن الكريم مثل :

١ - أبي بن كعب رضي الله عنه الذي قال عنه النبي ﷺ : (أقرأ أمتي أبي)[(٢)] .

---

(١) حديث متفق عليه . (٢) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج : ١ ص : ٢٨ .

وانظر أخي المسلم ! إلى مكانة سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه التي تتجلى في الحديث التالي : (عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا أبيًّا فقال : «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**» قال : آلله سماني لك ؟ قال نعم ! فجعل أبي يبكي . قال أنس : ونبئت (أخبرت) أنه قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا)[1] .

٢ – ومثل أبي موسى الأشعري الذي قال له النبي ﷺ : لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود[2] . وفي رواية أخرى قال أبو موسى : لو علمت مكانك لحبرته لك تحبيراً . والمراد بالمزمار هنا : الصوت الحسن ، قال في النهاية : شبّه حُسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار[3] .

٣ – وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ : من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[4] . وهو الذي قال له النبي ﷺ اقرأ عليّ ، فقال : يارسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ عليه سورة النساء حتى أتى إلى هذه الآية ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ فقال له النبي ﷺ حسبك الآن ، فإذا عيناه تذرفان[5] وغيرهم كثير من حفاظ القرآن الكريم المهرة الذين كانوا في زمن النبي ﷺ .

الثاني : إن الذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران .

(آ) أجر المشقة التي يجدها في تلاوته للقرآن وهو مازال في بداية تعلمه القرآن بشرط أن لايخطيء أخطاء في تشكيل الحروف يؤدي إلى تغيير في المعنى فهذا لايجوز.

(ب) أجر التلاوة بأن يأخذ على كل حرف عشر حسنات .

---

(١) الاستيعاب ج : ١ ص : ٢٨ و ٢٩ . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) شرح السنة ج:٤ ص:٤٨٨ . (٤) كتاب الاصابة للحافظ ابن حجر ج : ٢ ص : ٣٩١ .

(٥) رواه البخاري .

وهذا من فضل الله العظيم الذي يعطيه لمن يتلو كتابه الكريم فإنه سبحانه لايضيع أجر قاريء القرآن حتى ولو كان مازال في بداية تعلمه التلاوة .

وهذا من باب الترغيب في تلاوة القرآن والاجتهاد في تحسينها ، ولايكتفي الانسان بالقراءة المتعتعة ويقول لي أجران ، بل عليه أن يحسن تلاوته وهذا لايتحقق إلا بأشياء منها :

(أ) الصبر وقوة التحمل وعدم التضجر من كثرة تصحيح ما يقع فيه من أخطاء .

(ب) الانصات إلى من يقرأ عليه حينما يصحح له شيئاً وينتظر حتى يفرغ الشيخ من نطق الكلمة نطقاً صحيحاً ثم يعيدها بعده كما سمعها منه .

(ج) الجلوس في حلقات القرآن الكريم والاستماع لمن يقرأ بها وما يحدث فيها من أخطاء وتصويبات ليستفيد من أخطاء الآخرين .

(د) كثرة القراءة سواء منها النظر أو الغيب مع مراعاة تطبيق أحكام التجويد .

فإذا التزم الانسان بهذه الأشياء فإنه سوف ينتقل إن شاء الله من مرحلة التعتعة في القراءة إلى مرحلة المهارة ولكن لايأتي ذلك إلا بالمثابرة والمداومة والاقبال على تلاوة القرآن الكريم برغبة ومحبة صادقة .

٤ – عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌ ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُرٌ(١) .

قال الطيبي : اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على شيء يدرك بالعقل ولكنه غير ظاهر ولايبرزه من مكنونه إلا تصويره

---

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم .

بأشياء محسوسة ومشاهدة .

ثم إن كلام الله تعالى المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره وإن العباد متفاوتون في ذلك على النحو التالي :

(آ) فمنهم من له النصيب الأوفر في ذلك التأثير وهو المؤمن القاريء للقرآن

(ب) ومنهم من لانصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي الذي لايقرأ شيئاً من القرآن .

(ج) ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه ، وهو المرائي الذي قصد بقراءته مدح الناس .

(د) ومنهم من تأثر باطنه دون ظاهره وهو المؤمن الذي يتخلق بالقرآن ولم يحفظه[1] .

فعلى الانسان أن يقف مع نفسه وقفة أمام هذا الحديث ويسأل نفسه من أي الأصناف هو ، فإن كان من الصنف الأول فليحمد الله على ذلك ويطلب منه الثبات والمزيد من التوفيق . وإن كان من الصنف الثاني والعياذ بالله فعليه أن يسارع في التوبة وكثرة الاستغفار ويطلب من الله العون في الهداية والثبات على الصراط المستقيم . وإن كان من الصنف الثالث فعليه بالتوبة كذلك ويكثر من الدعاء الذي علمنا إياه نبينا محمد ﷺ في هذه الحالة وهو أن يقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لاأعلمه . وهناك رواية أخرى : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لاأعلم . وإن كان من الصنف الرابع فعليه أن يحمد الله على هذا التوفيق ويسأله سبحانه أن يوفقه لقراءة القرآن ليكون من الصنف الأول الذي يقرأ القرآن ويعمل به .

٥ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا نعم . قال : فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان[2]

---

(١) من شرح السنة باختصار وبتصرف قليل ج : ٤ . (٢) رواه مسلم .

والخلفات : جمع ، واحدتها (خلفة) وهي الحوامل من الابل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها . وفي هذا الحديث يخاطب النبي ﷺ الفطرة البشرية التي جبلت على حب المال كما قال الله تعالى : ﴿**وتحبون المال حباً جماً**﴾[1] ، فأراد النبي ﷺ في خطابه هذا أن يدلهم على ماهو أعظم من هذه الأموال التي يحبونها فقال : إن قراءة ثلاث آيات في الصلاة خير وأفضل وأعظم من هذه النوق الحوامل التي عن قريب ستصبح ستاً بعد أن تضع ، لأن المال وقت التمتع به قليل ومتاع الحياة الدنيا زائل وفان . ولكن العمل الصالح هو الباقي وهو الذي ينتقل مع الانسان إلى الدار الآخرة ، فإن الانسان العاقل هو الذي يؤثر ما يبقى على ما يفنى ..

٦ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب[2] . لماذا شبه النبي الجوف الخالي من القرآن بالبيت الخرب ؟ لأن البيت الخرب هو الذي تسكنه الشياطين والهوام والحشرات المؤذية .

فقلب الانسان إذا خلا من كتاب الله فإنه يكون مسكناً ومرتعاً للشياطين والعياذ بالله كما أن البيت الخرب الذي لايسكنه الانس يسكنه الجن أما إذا كان القلب عامراً بحفظ القرآن ، عامراً بذكر الله فإن الشيطان يفر منه لأنه لايجد له فيه مكاناً .

فاحرص أخي المسلم ! أن تجعل قلبك عامراً بذكر الله ، منيراً بأنوار القرآن حتى لايجد الشيطان له فيه مكاناً وتكون أنت في حصن حصين من كيد ووساوس الشياطين .

٧ – وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : يا أباذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير أن تصلي ألف ركعة[3] .

---

(١) سورة الفجر آية ٢٠ . (٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه ابن ماجة .

ومن هذا الحديث نستفيد أهمية تعلم القرآن ، وتعلم القرآن يشمل عدة أشياء منها :

(آ) تعلم تلاوته التلاوة الصحيحة لأنها السبيل والطريق الصحيح إلى فهم وتدبر القرآن .

(ب) تعلم تفسيره وفهم أحكامه وآدابه للعمل بها .

ونستفيد منه كذلك أن لايتهاون الانسان في الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة ، وبالمقابل لايحتقر من الذنوب شيئاً حتى ولو كان صغيراً . والآية الواحدة يتعلمها الانسان خير من صلاة مائة ركعة نافلة كما في الحديث لأنه قد ينفع الله الانسان بهذه الآية فتجره إلى فعل خير كبير أو تنهاه عن شر مستطير أو يفتح الله تعالى عليه بفهم معاني تلك الآية فينتقل من حالة إلى حالة أفضل منها فينتقل مثلًا من المعاصي إلى الطاعة أو من الغفلة والبعد عن الله إلى ذكر الله والاقبال عليه ، أو تجره تلك الآية إلى تذوق حلاوة القرآن فيقبل على تلاوته وحفظه فتكون الآية التي تعلمها أولًا بداية الهداية ، والخطوة الأولى في طريق السعادة .

أما السن المناسبة لحفظ القرآن :

فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أنه يسر لها تلاوة كتابه وحفظه وفهمه وتدبره كما قال تعالى : ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾[1] . وقد ورد في تفسيرها : أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه ؟

وهذا شيء ظاهر الوضوح ، فإننا نرى أطفالًا في سن الثامنة أو العاشرة من أعمارهم وقد أتم الواحد منهم حفظ القرآن الكريم كاملًا ولو كلف بحفظ عشر صحفات فقط من أي كتاب آخر بالنص لايستطيع ذلك . وتيسير حفظ القرآن ليس موقوفاً على العرب دون غيرهم ، بل إننا نجد كثيراً من غير العرب يحفظون القرآن كاملًا حفظاً جيداً ويؤدون أداء حسناً بأصوات

---

(١) وردت هذه الآية في سورة القمر أربع مرات أولها الآية رقم ١٧ .

حسنة ونغمة عذبة . وإذا حدثته بأي كلام غير القرآن قد لايعرف أو لايجيد النطق باللغة العربية ، فهذه آية من آيات الله وسر من أسرار القرآن الكريم وتصديق لقول الله تبارك وتعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . وقال سعيد بن جبير : ليس من كتاب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً (أي غيباً) إلا القرآن . وقال غيره : ولم يكن هذا لبني اسرائيل ، ولم يكونوا يقرأون التوراة إلا نظراً غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير عليهم جميعاً السلام[١] .

ولقد يسر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه أي يفتعلوا الذكر ، والافتعال : هو أن ينجع فيهم ذلك (أي يؤثر فيهم) حتى يصير كالذات وكالتركيب (فهل من مدكر) قال أبو بكر الوراق : فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه . وقال تعالى : ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾[٢] قال القرطبي في تفسيره : يعني القرآن . وقال الحسن : أعطيت هذه الأمة الحفظ (أي حفظ القرآن) وكان من قبلهم لايقرأون كتابهم إلا نظراً ، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيون . وقال كعب الاحبار في صفة هذه الأمة: إنهم حكماء وعلماء وهم في الفقه أنبياء . (في صدور الذين أوتوا العلم) أي ليس في هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر ، ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم ، وهم أصحاب نبينا محمد ﷺ ، والمؤمنون به يحفظونه ويقرأونه . ووصفهم الله بالعلم : لأنهم ميزوا بأفهامهم وما أوتوا من العلم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين[٣] .

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً . فالقرآن محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة ، مهيمن على القلوب معجز لفظاً ومعنى[٤] .

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٧ ص : ٨٧ و ٨٨ . (٢) سورة العنكبوت آية ٤٩ .

(٣) تفسير القرطبي ج : ١٣ ص : ٢٣٤ . (٤) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص ٤٠ .

والذي يريد أن يحفظ القرآن يشترط له شرطان أساسيان :

الشرط الأول : أن يكون عنده نية صادقة كما قال الله تعالى : **﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾**[1] .

الشرط الثاني : العزيمة القوية التي تترجم هذه النية الصادقة إلى عمل ملموس وشيء محسوس وليست الأماني وحدها هي التي تجعله يحفظ القرآن . وأضرب لذلك مثلًا: وكثيراً ما أذكره للطلاب للفائدة ولحثهم على الجد والاجتهاد في حفظ القرآن وتثبيته بمداومة المراجعة . لو أن انساناً يشعر بجوع شديد وأحضِر له طعام شهي ووضع بين يديه هل بمجرد النظر إلى الطعام يشبع وتمتلىء معدته من غير أن يمد يده إلى الطعام ويتناول منه شيئاً ؟ الجواب : قطعاً لايشبع بمجرد النظر إلى الطعام بل لابد من أن يمد يده ويأكل حتى يسد جوعته فكذلك من يريد أن يحفظ القرآن لايمكن أن يحفظ بمجرد الأماني . ومن يحفظ القرآن ولايراجعه فإنه سوف يتفلت منه إذا لم يلزم نفسه بالمراجعة اليومية كما أنه لايفوته يوم بدون أن يتناول ثلاث وجبات من الطعام فكذلك لايفوته يوم بدون أن يتناول وجبة من القرآن مناسبة لما يحفظه منه .

ما الطريقة المثلى لحفظ القرآن ؟

الطريقة الأفضل لحفظ القرآن والله أعلم على النحو التالي :

أولًا : تصحيح التلاوة نظراً من المصحف على شيخ متقن .

ثانياً : الالتزام بقدر معين من الآيات يحفظه كل يوم ويختلف عدد الآيات من شخص لآخر على حسب مقدرته في الحفظ .

فهناك أناس يستطيعون أن يحفظوا صفحة قرآنية كل يوم ، وهناك أناس يستطيعون أن يحفظوا صفحتين يومياً ، وهناك أناس لايقدرون على ذلك بل يكفيهم خمس آيات في اليوم . فكل يحفظ على حسب مقدرته ووقته ، لايكلف الله نفساً إلا وسعها .

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٣ .

وبعد أن يصحح الآيات التي سوف يحفظها يكرر الآية الواحدة عدة مرات حتى يشعر أنها قد ثبتت في ذهنه ، فيطبق المصحف ويقرأها غيباً فإن وجد نفسه أنه قد أتقن حفظها ينتقل إلى حفظ الآية التالية ، فيكررها كذلك حتى يحفظها ثم يجمع الآيتين في الحفظ لربط الآيات ببعضها . وهكذا كلما حفظ آية جديدة أعاد الحفظ من بداية الآيات الجديدة التي حفظها في يومه هذا حتى يتم حفظ الآيات الجديدة كلها . ثم يجمع بين ما حفظه اليوم وما حفظه من بداية السورة لربط آيات السورة ببعضها ويظل كل يوم يكرر السورة الجديدة من أولها إلى الآيات الجديدة التي سوف يحفظها في يومه الجديد .

ثالثاً : الارتباط بشخص معين يقرأ عليه ما حفظه كل يوم ليكون ذلك تشجيعاً له وحثاً له على الاستمرار في الحفظ وحافزاً له على الاستزادة ، وهذا يدخل تحت قول الله تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾(١) .

رابعاً : أن يتخير الأوقات التي يجد فيها ذهنه صافياً وعقله حاضراً ، وليكن ذلك الوقت بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة المغرب أو على حسب ظروف كل شخص .

خامساً : أن يأخذ نفسه بالجد والاجتهاد وأن يتجنب ويحذر التسويف والكسل ، لأن النفس بطبعها تميل إلى الخمول وتحب العاجل من متع الحياة الدنيا ، وتكره الطاعة ويشق عليها فعلها كما قال الله تعالى عن الصلاة : ﴿**وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾(٢) .

وقد يكون هناك طرق أخرى أفضل من هذه الطريقة في حفظ القرآن والله تعالى أعلم .

وليس هناك سن معينة يصعب معها حفظ القرآن ، فكثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم حفظوا القرآن وهم في سن متأخرة . ولقد كان حفظهم يختلف عن حفظنا كثيراً كثيراً كمّاً وكيفاً . فلقد كانوا لايتجاوزون

---

(١) سورة المائدة آية ٢ . (٢) سورة البقرة آية ٤٥ .

حفظ العشر الآيات حتى يتعلموا حلالها وحرامها وأحكامها ويطبقونها عملياً على حياتهم ، ثم ينتقلون إلى العشر التالية ، فتعلموا القرآن والعلم جميعاً . كما ورد ذلك عن سادتنا عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلايجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا مافيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً صلوات الله وسلامه عليه وآله وأصحابه ، ولذلك كان يطول بهم زمن الحفظ ولايملون ، لأنهم كانوا يقرأون القرآن ويحفظونه وهم له محبون وبقراءته وفهمه وتدبره متلذذون .

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً . وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث في حفظ سورة البقرة ثماني سنوات . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إنا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسَهُل علينا العمل به ، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به[1] .

ولعل قائلًا يقول : هؤلاء الصحابة وأين نحن منهم ؟ فالجواب : أن القرآن ميسر للحفظ في كل وقت وحين مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ فهذا القول الكريم مستمر إلى يوم القيامة في كل زمان ومكان .

ولكن من الأفضل أن يبدأ الانسان الحفظ في سن مبكرة ، والحكمة تقول : الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر ، ولكن إذا فاتت الانسان فرصة الحفظ في الصغر فلاييأس من الحفظ في الكبر بل عليه أن يستعين بالله ويطلب منه التوفيق والتيسير ويسلك الطريق الصحيح في حفظ القرآن كما وضحته سابقاً وبالله التوفيق .

﴿ نصيحة ﴾ :

إلى كل والد يريد أن يحفظ أبناؤه القرآن عليه أن يبدأ معهم في سن

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٣٠ و ٣١ .

مبكرة وليكن ذلك من سن الرابعة أو الخامسة بمجرد ما يحسن الابن النطق الصحيح للحروف حتى لايؤدي النطق الخاطيء للحروف إلى تغيير في معاني القرآن مثل : أن ينطق الراء لاماً أو السين ثاء باخراج طرف اللسان إلى غير ذلك مما يكون في نطق الأطفال .

وليحاول الوالد قدر استطاعته إن كان حريصاً على حفظ ابنه القرآن أن يختم الابن القرآن قبل انتهائه من المرحلة الابتدائية أي في سن الحادية عشرة أو قبلها إن تمكن من ذلك . لماذا ؟ لأن الأبناء في هذه السن تكون أذهانهم صافية وعقولهم مستعدة ومهيأة للحفظ أكثر من المرحلة التالية في حياتهم ، هذا من الناحية الذهنية والنفسية . أما من الناحية الدراسية فيكونون في المرحلة الابتدائية واجباتهم أقل ، ومناهجهم الدراسية أصغر ، ومتطلباتهم الدراسية أيسر ووقت فراغهم أكبر .

أما عندما ينتقلون إلى المرحلة المتوسطة فإنه يتغير عليهم أشياء كثيرة مما يشوش عليهم أذهانهم وتتجه أفكارهم إلى أشياء لم تكن عندهم في المرحلة الابتدائية مما يجعل نفوسهم غير مستقرة .

من هذه الأشياء :

أولًا : من الناحية النفسية : يدخل الطالب المرحلة المتوسطة على أنها مرحلة جديدة من عمره مختلفة عن المرحلة السابقة ، فيشعر فيها بالنمو العقلي والجسماني ، ويدخل مرحلة المراهقة ومحاولة الاستقلال بذاته وتكوين شخصية مستقلة له . مما يصعب على والده التحكم فيه أو توجيهه إلى ما يريده له من الخير وإلى ما يرى له فيه مصلحة .

ثانياً : من الناحية الدراسية : حينما ينتقل الطالب إلى المرحلة المتوسطة تكبر المناهج التعليمية المقررة عليه ، تزيد وتكثر عليه كمية الواجبات المنزلية . إضافة إلى بعض المناهج الجديدة التي لم تكن مقررة بالمرحلة الابتدائية ، الأمر الذي يجعله دائماً مشغولًا بالمواد الدراسية المختلفة مما يصعب معه حفظ القرآن إلا من رحم الله .

ولذلك فإني أنصح الاخوة الآباء الذين هم حريصون على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم أن يهتموا بذلك في السن المبكرة لأبنائهم حتى ييسر الله لهم اتمام حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة بإذن الله . وهناك كثير من الأبناء قد وفقهم الله تعالى لاتمام حفظ القرآن في سن الثامنة وفي سن العاشرة وفي سن الثانية عشرة.

ولقد أخبرني بعض الاخوة المهتمين بتحفيظ القرآن أنه حضر احتفالاً بطفل عمره سبع سنوات قد أنعم الله عليه ووفقه لاتمام حفظ القرآن الكريم وهو في هذه السن المبكرة جداً . ولعل هذه النوعية من الأبناء قليلة ولكن من الممكن جداً بإذن الله أن يتم الابن حفظ القرآن في سن العاشرة أو الثانية عشرة على الأكثر .

وكيف يتم ذلك ؟

أولًا : إذا كان أحد الوالدين هو الذي سوف يتولى تعليم وتحفيظ ابنه القرآن وهذا أفضل طريق فلابد أن يكون هو أولًا يحسن تلاوة القرآن بأن يكون قد تلقى على يد شيخ متخصص أو تكون الوالدة قد تعلمت في مدارس تحفيظ القرآن النسوية النظامية أو الخيرية حتى لايلقنوا أو يعلموا أبناءهم القراءة والنطق خطأ .

ثانياً : إذا لم يكن الوالدان يحسنان تلاوة القرآن فلابد من إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم التي تقام في المساجد مع المتابعة من البيت بمعنى أن يتابع الوالدان ابنهما فيسألانه أو أحدهما يسأله : ماذا حفظت اليوم ؟ ماذا أخذت من آيات جديدة ؟ كم قرأت من حفظ المراجعة ؟ حتى يشعر الابن بأن والديه مهتمان بهذا الأمر فيأخذ الأمر بمأخذ الجد ولايتهاون ولايتكاسل ولايتقاعس بل يكون اهتمام والديه به دافعاً وحافزاً له .

ثالثاً : التشجيع المعنوي والمادي له أثر كبير في نفوس الأبناء . ولقد استعملت هذا التشجيع مع أبنائي أثناء حفظهم القرآن الكريم ، فكنت إذا سَمّعُوا الآيات المطلوبة منهم بدرجة جيدة أشجعهم بكلمة طيبة مثل : ماشاء الله أنت اليوم ممتاز ، أنت اليوم في التسميع أحسن من أمس ، بارك الله فيك.

فهذه الكلمات وأمثالها تبعث في الطفل بهجة وفرحاً وسروراً ، وتكون حافزاً له ودافعاً قوياً إلى الجد والاجتهاد في الحفظ الجيد . وحينما يتم الواحد منهم حفظ سورة بأكملها أحضر له هدية أو أخصه بشيء من النقود تشجيعاً له وفي الأيام التي لايكون حفظهم فيها جيداً أعاتبهم ببعض الكلمات التي تثير فيهم الهمة وروح المنافسة مثل : أنت اليوم لاتستحق ممتاز ، أخوك فلان أحسن منك اليوم ، لعلك اليوم لم تركز وأنت تحفظ .

ثم أقول له : أيهما أحسن : الولد الممتاز أم الولد الكسلان ؟ فيقول : الممتاز . فأقول له : لماذا لاتكون ممتازاً في كل يوم ؟ ثم اجعله يعيد حفظ الآيات التي كان حفظها ضعيفاً وتسميعها مرة أخرى . وبعد أن ينتهوا من حفظ السورة كاملة لاينتقلون منها إلى غيرها حتى يسمعوها كاملة في جلسة واحدة بدون أخطاء أو أخطاء قليلة جداً قبل أن يبدأوا في حفظ سورة جديدة وبهذه الطريقة يسر الله لهم وأتموا حفظ القرآن كاملًا في سن مبكرة ولله الحمد أولًا وآخراً فهو المستعان وحده . وقد يكون هناك طرق أخرى أفضل من هذه الطريقة ولكنني ذكرت الطريقة التي استعملتها مع أبنائي وقد آتت ثمارها بفضل الله تعالى وتوفيقه وحققت الهدف المنشود ولله الحمد والمنة .

لعل بعض الناس يقول : هذا أمر (أي تحفيظ الأبناء القرآن) يحتاج إلى مجهود لايستطيعه كل الناس . ولو يعلم الذي يقول هذا الكلام ما أعد الله من الكرامة والثواب لوالدي حامل القرآن لبذل في سبيل تحفيظ أبنائه القرآن النفس والنفيس والغالي والرخيص . والحقيقة أن حفظ الأبناء للقرآن الكريم سبب كبير في استقامتهم وحفظهم من شر شياطين الانس والجن لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ الآية ، فالابن حينما يحفظ القرآن ويردده دائماً للمراجعة والاستذكار سوف يدفع الله عنه بالقرآن وبتلاوته الشرور التي تحيط به . وماذا يريد كل إنسان منا لأبنائه أو ماذا يتمنى لهم ، وعلى أي حالة يحب أن يراهم ؟ إن كل إنسان يريد أن يكون أبناؤه مستقيمين على صراط الله المستقيم ويتمنى ويحب أن يراهم موفقين في أمور دينهم ودنياهم . وقمة سعادته

إذا كانوا بارين به مطيعين له . وهذه الأوصاف الحميدة وهذه الأخلاق الرشيدة إنما تتحقق بإذن الله فيمن يحفظ القرآن الكريم لأنها كلها قد أمر بها القرآن وحث عليها . هذه بالنسبة لأيام الدنيا . أما في الآخرة فجزاء والدي حامل القرآن على النحو التالي :

أولًا : يكرم الله تعالى والدي حامل القرآن بأن يلبسهما تاجاً أبهى من ضوء الشمس في بيوت الدنيا . كما ورد : من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيه . فما ظنكم بالذي عمل به .

ثانياً : إن من حفظ القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته ، كما ورد في الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار[1] وقطعاً أول من تناله شفاعة حامل القرآن والديه إذا لم يكونا من أهل الجنة لأن الحديث يقول : وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار .

ثالثاً : إذا دخلوا الجنة قد يكون الآباء في درجة أعلى من الأبناء في الجنة فيرفع الله تعالى الأبناء إلى درجة الآباء لتقر أعينهم بهم . وقد يكون الأبناء في درجة أعلى من الآباء بسبب حفظهم القرآن لأنه ورد في الحديث : يقال : لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها[2] .

فحامل القرآن يقرأ ويرتقي ويرتل ويرتفع بذلك درجات في الجنة وقد يصل بذلك إلى درجة أعلى من درجة والديه ، فلإدخال السرور عليه يرفع الله درجة والديه إلى درجته لتقر عينه بهما كما ورد معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى : ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء**﴾ الآية .

---

(١) رواه ابن ماجة والترمذي . (٢) رواه أبوداود والترمذي وقال : حسن صحيح .

فاحرص أخي المسلم على هذا الفضل وهذا الشرف . وحث ولدك ورغبه في حفظ القرآن وشجعه وهيأ له الأسباب التي تساعده على ذلك واطلب من الله أن يوفقه لحفظ القرآن ليكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته .

ومما تقدم من الآيات والأحاديث في فضل تعلم القرآن وتعليمه يستفاد مايلي :

١ – أن تلاوة القرآن فيها امتثال لأمر الله تبارك وتعالى .
٢ – خير هذه الأمة حملة القرآن العاملون به المعلمون له .
٣ – الماهر بالقرآن في درجة الملائكة والمتتعتع في قراءته له أجران .
٤ – استحباب تحسين الصوت في تلاوة القرآن .
٥ – المؤمن الذي يقرأ القرآن طيب المظهر والمخبر .
٦ – أن تلاوة القرآن أفضل من جمع الأموال واقتنائها .
٧ – أن الجوف الخالي من القرآن كالبيت الخرب الذي تسكنه الشياطين .
٨ – أن الانسان لاييأس من حفظ القرآن ولو تقدمت به السن .
٩ – فضل حفظ القرآن على الآباء وتكريمهم يوم القيامة .
١٠ – المبادرة إلى حفظ القرآن في السن المبكرة أفضل من التأخير .
١١ – ليس هناك سن محددة يصعب معها حفظ القرآن مادام الانسان في قواه العقلية .

الفصل الثالث

كيفية المحافظة على القرآن الكريم والتحذير من نسيانه

إذا كان لدى الانسان جوهرة ثمينة ليس لها نظير في هذا الوجود هل من العقل والحكمة أن يتهاون في المحافظة عليها حتى تضيع منه ويفقدها ؟ أم أنه يجب عليه أن يحفظها ويحافظ عليها بكل ما يملك من وسائل ! الجواب المنطقي أنه يجب عليه المحافظة عليها بكل ما أوتي من وسائل وأن يتعهدها بالاطمئنان عليها بين الحين والآخر وأن لايغفل عنها ، بل يضعها في خزانة آمنة

ويتفقدها بين لحظة وأخرى خوفاً عليها من الضياع إذا كانت بهذه الدرجة من الأهمية . أما إذا قصر في المحافظة عليها ولم يُلقِ لها بالًا وأعرض عنها حتى فقدها وخسرها فماذا يقول الناس عنه ؟ يقولون عنه : إنه انسان أحمق وسفيه أو أنه مجنون ، لأنه لم يعرف قيمة ما لديه من ثروة وما أوتي من نعمة وفرط في الحفاظ عليها حتى فقدها ، لأن هذه الأصناف وأصحاب هذه الأوصاف هم الذين لايحسنون التصرف فيما يملكون ، ولايستطيعون القيام بما يوكل إليهم من أعمال على وجه صحيح .

والقرآن العظيم أنفس وأعز وأغلى وأسمى من أي شيء في هذا الوجود من متاع الدنيا الفاني ، فإذا كان من العقل والحكمة أن يحافظ الانسان على ما لديه من ثروة وأن لايقصر في المحافظة عليها ، فمن باب أولى أن يحافظ الانسان على ما منحه الله من فضل وما اختصه من نعمة وما حباه من كرامة بحفظ القرآن ، فلايتهاون في مراجعته واستذكاره حتى لايتفلت منه وينساه ويرتكب بذلك ذنباً كبيراً واثماً عظيماً .

التحذير من نسيان القرآن العظيم :

قال الله تعالى : ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولايشقى في الآخرة وتلا الآية . وعنه : من قرأ القرآن واتبع ما فيه ، هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ثم تلا الآية . وعلى العكس من ذلك يكون جزاء من أعرض عن القرآن الكريم تلاوة وفهماً وعملًا فيكون جزاؤه في الدنيا العيشة الضنك أي عيشاً ضيقاً . قال بعض العلماء : لايعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشة ضنك . وأما جزاؤه في الآخرة فكما قال الله عزوجل : ﴿**ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ . قال مجاهد : أعمى عن جهات الخير ، لايهتدي لشيء منها

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

وقيل : عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالأعمى الذي لاحيلة له فيما لايراه . ﴿**قال رب لم حشرتني أعمى**﴾ أي بأي ذنب عاقبتني بالعمى . ﴿**وقد كنت بصيراً**﴾ أي في الدنيا وكأنه يظهر أنه لاذنب له[١] . ﴿**قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾ أي لما أعرضت عن آيات الله وتناسيتها وأعرضت عنها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك . فإن الجزاء من جنس العمل .

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم»[٢] نعوذ بالله من ذلك .

وعن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : «بئسما لأحدهم أن يقول : «نسيت آية كيت وكيت» بل نُسِّي . واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم»[٣] . قال الامام البغوي : قوله : (نُسِّي) أي عوقب بالنسيان على ذنب اقترفه أو سوء تعهده للقرآن بترك مراجعته . قال أبو عبيد : إنما هو على التارك لتلاوة القرآن الجافي عنه ويبين ذلك قوله ﷺ : (استذكروا القرآن)[٤] .

فأما الذي هو حريص على حفظ القرآن دائب في تلاوته إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء بدليل ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ في الليل فقال : «يرحمه الله فقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها[٥] وقال الضحاك بن مزاحم : ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[٦] ونسيان القرآن

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١١ ص : ١٧١ و ١٧٢ . (٢) أخرجه الامام أحمد .

(٣) رواه البخاري ومسلم . (٤) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٩٥ .

(٥) رواه البخاري . (٦) شورة الشورى آية ٣٠ .

من أعظم المصائب[1] .

وبهذه المناسبة فالمعاصي من أهم الأسباب التي تحول بين طالب العلم واستيعابه وحفظه وتحصيله لأن الذنوب تؤثر في القلوب وتفسدها وإذا فسد القلب فسد الجسد ولاحول ولاقوة إلا بالله . ورحم الله الامام الشافعي حيث يقول :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لايهدى لعاصي

ولأن القرآن الكريم شديد التفلت من الانسان وهذا سر من أسرار القرآن أمرنا النبي ﷺ بأن نتعهده بالمراجعة المستمرة والتلاوة الدائمة حتى نحافظ عليه من النسيان ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لَهُوَ أشد تفلتاً من الابل في عقلها»[2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»[3] .

فتأمل أخي المسلم هذا التشبيه البليغ أن صاحب القرآن مثله مثل صاحب الابل المقيدة المربوطة إن داوم على ربطها وتقييدها ظل محتفظاً بها ممسكاً لها وإن فك قيدها وأطلقها ذهبت منه وضاعت وفقدها . فكذلك حامل القرآن إن داوم على مراجعته وحافظ على تلاوته ولم يتهاون في ذلك احتفظ بالقرآن في صدره ولم يتركه القرآن وإن أعرض أو تكاسل أو تهاون في تلاوته فإن القرآن عزيز والقرآن مجيد والقرآن سمي المكانة لايرضى من صاحبه هذا الاعراض وهذا التهاون وهذا التكاسل فيتركه القرآن كما تركه ويهجره القرآن كما هجره ولاحول ولاقوة إلا بالله .

---

(١) شرح السنة ج ٤ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) متفق عليه .

وأذكر مثالًا حضرني في هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه الأسطر : لو جاء الانسان ضيفٌ عزيز يزوره في بيته وهذا المضيف لم يكرم ضيفه ولم يجلس معه ولم يهتم به ولم يقدره ، فماذا يكون تصرف الضيف العزيز ؟ إنه سوف يغادر هذا المكان الذي لم يلق فيه اكراماً أو احتراماً أو تقديراً على وجه السرعة فكذلك القرآن ضيف عند صاحبه . إن قدره صاحبه وداوم على تلاوته وقام به آناء الليل وأطراف النهار وأعزه واحترمه فإن القرآن يقول له نعم الصاحب أنت ولايفارقه . وإن لم يكرمه صاحبه ولم يجله ولم يقدره وتهاون في مراجعته واستذكاره فإنه يقول له بئس الصاحب أنت ويفارقه ولايعود إلا إذا عاد صاحبه إليه . ولو تأمل الانسان في معنى الحديث : «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الابل في عقلها» لوجد أن في تفلت القرآن من الانسان خيراً كبيراً . وكيف ذلك ؟

الله سبحانه وتعالى الذي يسر حفظ القرآن قادر على أن يجعل الانسان إذا حفظ القرآن لاينساه ويجعله مستقراً وثابتاً في الصدور . ولكن مانتيجة ذلك لو كان ؟ النتيجة : أن الانسان إذا اطمأن على أنه لن ينسى القرآن بعد حفظه سوف يركن إلى ذلك ولايتلوه إلا قليلًا .. إن لم يهجره بالمرة . لأنه قد أطمأن على أنه لن ينساه وبهذا يضيع على نفسه ثواباً عظيماً وأجراً كريماً بتركه لتلاوة القرآن ومراجعته . ولكن إذا خاف الانسان من تفلت القرآن منه فإنه سوف يراجعه ويتلوه دائماً ليلًا ونهاراً حتى لاينساه وكلما قرأ شيئاً من القرآن أخذ بكل حرف عشر حسنات ، وأنه يعطر أوقاته بتلاوة القرآن وأنه يجعل لسانه رطباً بذكر الله وكلما قرأ ازداد حلاوة ولعل الله سبحانه وتعالى يفتح عليه أبواب العلم والمعرفة ويؤتيه من أنوار القرآن ويكشف له من أسراره ما يكون سبباً في سعادته في دنياه وأخراه . هذا كله ببركة مراجعته للقرآن خوفاً من النسيان . ولله الحمد والمنّة .

أرأيت ياحامل القرآن ذلك الفضل العظيم الذي تحصل عليه في مداومتك على مراجعة القرآن فاحذر أن تتهاون في ذلك واحذر أن تتشاغل عن

القرآن بأي حجة كانت ، احذر من هجر القرآن وتعهده بالمراجعة الدائمة فتتعرض بذلك لنسيانه وترك العمل به الأمر الذي يعتبر من أعظم الذنوب .

قال ابن القيم رحمه الله : هجر القرآن أنواع :

الأول : هجر سماعه والايمان به والاصغاء إليه .

الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه حتى وإن قرأه وآمن به

الثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر الاستشفاء به والتداوي به من جميع أمراض القلوب وادوائها .

الخامس : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد الله منه .

السادس : هجر تلاوته ومراجعته مما ينشأ عنه نسيان القرآن بعد حفظه .

ونسيان القرآن يعرض صاحبه لعذاب أليم في القبر والعياذ بالله من ذلك

فقد روى الامام أحمد من حديث سمرة أن النبي ﷺ رأى رجلًا مستلقياً على قفاه ورجلًا قائماً بيده فهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه فيتدهده ، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع به مثل ذلك . فسأل النبي ﷺ عنه فقيل له : رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار ، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة . أعاذنا الله من ذلك .

وهذا الحديث يرشدنا إلى أشياء في غاية الأهمية منها :

أولًا : أن حامل القرآن ينبغي عليه أن يكون له ورد بالليل وورد بالنهار من القرآن . وورد الليل يقرأه في الصلاة فقد ورد أن أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل . وصلاة الليل من أفضل الطاعات وأعظم القربات . وهي شعار الصالحين وعباد الله المتقين ولقد أثنى الله على أهلها وامتدحهم بقوله الكريم : ﴿**من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**﴾ .

قال ابن اسحاق عن ابن عباس : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام ورسخوا فيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله

عزوجل هذه الآيات من : (ليسوا سواء) إلى (وأولئك من الصالحين)[1] .

ولقد كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تورمت قدماه من طول القيام امتثالًا لأمر الله تعالى : ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾[2] فقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟) فقال ﷺ : (يا عائشة ! أفلا أكون عبداً شكوراً)[3] .

فاحرص أخي المسلم على هذه الفضيلة الجليلة ، فضيلة قيام الليل وقراءة القرآن في تلك الأوقات المباركة المشهودة التي تتنزل فيها الرحمات . فإذا استطعت أن تقوم في الثلث الأخير من الليل فهذا أفضل أوقات الليل ذلك وقت السّحَر الذي تستجاب فيه الدعوات وتكفر فيه السيئات وتقضى فيه الحاجات وتعم فيه الخيرات والبركات من خالق الأرض والسماوات . وإذا لم تستطع القيام في الثلث الأخير فلتصل قبل أن تنام أربع ركعات على الأقل تقرأ في كل ركعة ربع حزب وإن زدت على ذلك فهو خير .

وهناك طريقة أخرى ميسرة إن شاء الله على النحو التالي :

أولًا : أن تصلي بعد صلاة العشاء مباشرة أربع ركعات تقرأ في كل ركعة ربع حزب أو ثمن .

ثانياً : أن تصلي قبل أن تنام أربع ركعات تقرأ في كل ركعة ربع حزب .

ثالثاً : أن تقوم قبل أذان الفجر بنصف ساعة فتصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة ربع حزب أو ثمن على حسب الاستطاعة والمقدرة .

فتكون بذلك قد صليت في كل أجزاء الليل أوله ، وأوسطه ، وآخره . وقال الحسن البصري رحمه الله : من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجّه القرآن . وقال كعب : من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين .

---

(١) تفسير القرطبي ج : ٤ ص : ١١٣ . (٢) سورة الاسراء آية ٧٩ .

(٣) أخرجه الامام أحمد ومسلم .

ولقد ورد في معنى قوله تعالى : ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾[1] . أي لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر (السهر في طاعة الله) والتهجد هو الصلاة بعد النوم . وورد في معنى قوله تعالى : ﴿**إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا**﴾ هو القرآن الكريم . وجاء في الخبر أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها (أي صدرها) على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسَرّى عنه[2] . وقيل : ثقيلًا : لايحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد . وقال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة .

واعلم يا صاحب القرآن أن تلاوة القرآن في صلاة الليل من أعظم السبل لتثبيت حفظ القرآن فقد ورد في معنى قوله تعالى : ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلًا**﴾[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يواطيء السمع القلب . وقال مجاهد : أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات[4] . (وأقوم قيلًا) أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار أي أشد استقامة واستمراراً على الصواب لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة فلايضطرب على المصلي ما يقرؤه ولا يأتيه ما يشغله . وقال قتادة ومجاهد : أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم . وقال عكرمة : عبادة الليل أتم نشاطاً وأتم اصلاحاً وأكثر بركة . وقال القرطبي : عند تفسير هذه الآية (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلًا) : إن الله تعالى بيّن في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وإن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها أمكن وأعظم للأجر وأجلب للثواب[5] . وورد في معنى قوله تعالى : (إن ناشئة الليل) قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هي الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار وهذا الذي اختاره مالك بن أنس رحمه الله .

ومما تقدم من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ٢٧ . (٣) سورة المزمل آية ٦ .

(٤) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ٢٨ . (٥) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ٢٧ .

أهل العلم في فضل قيام الليل فيجدر بك يا حامل القرآن أن لاتغفل عن هذا العمل الجليل ولاتتهاون في تحصيل هذا الأجر الكبير وأن لاتعرض نفسك لذلك العقاب الأليم الذي ينتظر من يتهاون في القيام بحق القرآن فينام عنه بالليل ولايعمل به في النهار كما مر في الحديث المذكور سابقاً فاحرص أخي المسلم على قيام الليل قدر استطاعتك فالله تعالى يقول : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه .

ثانياً : قوله ﷺ : «ولم يعمل به في النهار» : أي أن حامل القرآن الذي رآه النبي ﷺ لم يعمل بأحكام القرآن في نهاره فنام عنه بالليل وأهمل العمل به في النهار . لأن الله تبارك وتعالى لم ينزل القرآن ليقرأ فقط ويهمل جانب العمل به بل أنزله الله عزوجل ليقرأ ويعمل به كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾[1] .

فالقرآن يأمرنا بتوحيد الله واخلاص العبادة له فيجب علينا أن نخلص لله في أقوالنا وأفعالنا .

والقرآن يأمرنا بطاعة الرسول ﷺ في كل أمر وبالانتهاء عن كل ما نهى عنه فيجب علينا أن نأتمر بأمره ﷺ وننتهي بنهيه .

والقرآن يأمرنا بأداء الصلاة في أوقاتها فيجب علينا أن نحافظ على أدائها في أوقاتها بشروطها وواجباتها وسننها ولانؤخرها ولا نتهاون فيها .

والقرآن يأمرنا بأداء الزكاة والصيام والحج فيجب علينا القيام بذلك متى وجب علينا .

والقرآن يأمرنا بالمسارعة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات والتعاون على البر والتقوى فيجب علينا المسارعة إلى ذلك .

والقرآن ينهانا عن الظلم والعدوان والخيانة وعدم الوفاء بالوعد فيجب علينا أن ننتهي عن ذلك .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٥ .

والقرآن يأمرنا بأداء الأمانة فيجب علينا أن نكون أمناء في عباداتنا ومعاملاتنا .

والقرآن يأمرنا بالصدق فيجب علينا أن نكون صادقين في قولنا وفعلنا .

والقرآن يأمرنا بالاحسان إلى الوالدين وذي القربى والجار فيجب علينا أن نحسن إليهم .

والقرآن ينهانا أن نجلس مع الغافلين أو الذين يخوضون في آيات الله فيجب علينا اجتنابهم .

والقرآن يأمرنا بمجالسة الصالحين والصادقين فيجب علينا أن نبحث عنهم ونجالسهم ونصاحبهم .

والقرآن يأمرنا بمراقبة الله في السر والعلن والخشية منه فيجب علينا أن نخاف الله ونخشاه في قولنا وفعلنا .

والقرآن يأمرنا بالصبر على أقدار الله والشكر على نعمه سبحانه فيجب علينا أن نشكر في الرخاء ونصبر في الضراء ونسلم لكل ما جرى به القضاء .

والقرآن يأمرنا بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه فيجب علينا أن نكون متوكلين عليه مفوضين الأمر إليه .

والقرآن يأمرنا بغض البصر وحفظ الفرج فيجب علينا غض البصر وحفظ الفرج وهكذا يجب علينا أن نأتمر بكل ما أمر به القرآن وننتهي عن كل ما نهى القرآن عنه لننال سعادة الدنيا ورضوان الله في الآخرة .

فصل في كيفية مراجعة القرآن :

لقد تقدم ذكر الحديث الذي يبين فيه النبي ﷺ كيف نحافظ على القرآن من النسيان والتفلت وهو أنه لايمكن المحافظة على القرآن من ذلك إلا بالمراجعة المستمرة والتلاوة الدائمة .

وهنا يرد سؤال ، في كم يوم نختم القرآن ؟ يجيبنا على هذا السؤال المعلم الأول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم حينما سأله عبد الله بن عمرو قال : قلت يارسول الله ! في كم أختم القرآن ؟ قال اختمه في شهر . قلت :

يارسول الله ! إني أطيق . قال : اختمه في خمس وعشرين . قلت : إني أطيق قال : اختمه في خسمة عشر . قلت : إني أطيق . قال : اختمه في عشر . قلت إني أطيق . قال : اختمه في خمس . قلت : إني أطيق . قال : لا[١] .

فعليك يا حامل القرآن أن لايمر عليك شهر وأنت لم تختم القرآن مرة واحدة على الأقل إن لم تزد على المرة فلا أقل منها . وأقول : خير الأمور الوسط: اختمه في الشهر مرتين بمعنى أن تقرأ كل يوم جزئين . وياحبذا لو جعلت ختمة بالليل وختمة بالنهار . ومع ذلك نرى بعض السلف الصالح كانوا يختمون القرآن في ركعة واحدة بالليل . أولهم : سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد ورد أنه كان يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها[٢] . ومنهم سعيد بن جبير روي عنه أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة[٣] .

والطريقة الأفضل في مراجعة القرآن الكريم والله تعالى أعلم على النحو التالي :

أولًا : مراجعة القرآن نظراً بقدر المستطاع لأن ذلك يؤدي إلى تثبيت الحفظ وعلى كل حافظ أن يرجع المقدار الذي يتناسب مع ما يحفظه .

ثانياً : إعادة ما راجعه نظراً بتلاوته في الصلاة غيباً .

ثالثاً : مراجعة القرآن مع شخص بأن يقرأ كل منهما على الآخر .

رابعاً : تدريس القرآن الكريم وهو أفضل السبل لتثبيت حفظ القرآن .

الخاتمة : أسأل الله تعالى حسنها لي ولجميع المسلمين .

إن تعلم القرآن الكريم وتعليمه من أفضل ما يشغل به الانسان نفسه وكل ساعة يقضيها الانسان في هذا المجال فإنه سوف يجدها نوراً في صحيفة حسناته يوم القيامة ويتمنى أن لو كان قضى كل عمره في هذا العمل الجليل . ويكفي من يوفق لهذا قول النبي ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

فأنعم به من قول وأعظم بها من شهادة وأكرم به من وسام لايعادله

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، يستغرب من حديث أبي بردة عن عبد الله بن عمرو

(٢) أخرجه الطحاوي والبيهقي وابن أبي داود واسناده صحيح . (٣) أخرجه ابن أبي داود والطحاوي

وسام في الدنيا ، لأن الذي يقوم بهذا العمل العظيم يقوم بما قام به الأمين جبريل عليه السلام الذي تلقى عنه الرسول ﷺ ، ويقوم بما قام به الرسول ﷺ الذي تلقى عنه الصحابة ويقوم بما قام به الصحابة حيث تلقى عنهم التابعون . وهكذا فهو يقوم بعمل قام به خيار الخلق من الملائكة والبشر . ولذلك جعل النبي ﷺ الذي يتعلم القرآن ويعلمه خير هذه الأمة ، وإن الذي يعلم الناس الخير يصلي عليه الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر .

وبعد أن يتعلم الانسان عليه أن لاينسى نفسه من هذا الخير عليه أن يكون له الحظ الأوفى منه بأن ينهل من معينه الصافي فيعمل بما علم حتى لايعرض نفسه للحساب والعقاب وحتى لايكون علمه حجة عليه .

عليه أن يُرى عليه أثر العلم الذي تعلمه والقرآن الذي قرأه فنراه متأدباً بآدابه متخلقاً بأخلاقه محلًا لحلاله محرماً لحرامه .

وهنيئاً لوالديْ حامل القرآن الذين حببا ولدهما في القرآن ورغباه في حفظه وأعاناه على ذلك حتى وفقه الله وحفظه .

والحذر الحذر من النسيان والتهاون في مراجعة حفظ القرآن ، فإن من يفعل ذلك يعرض نفسه لضيق العيش في الدنيا والعذاب في الآخرة .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه وأن يجعلنا ممن عمل بما علم فكان علمه حجة له لاعليه وكان القرآن شاهداً له لاعليه .... آمين .

﴿ الباب الثاني ﴾

الفصل الأول : أهمية التجويد وتطبيقه على التلاوة

اعلم أخي المسلم وفقني الله وإياك لما يحبه تعالى ويرضاه أن الله جل وعلا يحب الاحسان في كل ما يعمله الانسان وأنه تعالى لايضيع أجر المحسنين كما قال تبارك وتعالى : ﴿**إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً**﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً**﴾(٢) .

فإذا صليت فأحسن صلاتك بأن تؤديها في أول وقتها بشروطها كاملة حتى تصعد إلى السماء ولها نور تقول حفظك الله كما حفظتني . ولاتنقرها نقر الغراب بأن لاتأتي بالطمأنينة فيها أو تسرع في القراءة والتسبيح أو تؤخرها عن أول وقتها بدون عذر شرعي . والصلاة كما هو معلوم من الدين بالضرورة أنها الركن الثاني من أركان الاسلام وأهم أركانه بعد الشهادتين ، وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت قبلت منه وسائر عمله ، وإن فسدت ردت عليه وسائر عمله والعياذ بالله من ذلك . ومعلوم أن الصلاة تشتمل على قراءة القرآن الكريم بل إن الفاتحة ركن من أركانها ولاتصح الصلاة بدونها لقول النبي ﷺ : «فإنه لاصلاة لمن لم يقرأ بها»(٣) . أي سورة الفاتحة .

ونحن مطالبون بأن نقرأ القرآن الكريم كما كان يقرأه رسول الله ﷺ . كما أننا مطالبون بأن نصلي كما كان يصلي ﷺ لقوله ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي»(٤) . وقراءة القرآن عبادة ، والعبادة لاتقبل إلا إذا تحقق فيها شيئان :

أولًا : الاخلاص لله تعالى .

ثانياً : أن تكون موافقة لفعل النبي ﷺ .

فكيف كان يقرأ النبي ﷺ القرآن ؟

لقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بترتيل القرآن فقال سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة الكهف آية ٣٠ . (٢) سورة الكهف آية ٧ . (٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

﴿**ورتل القرآن ترتيلًا**﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿**الرحمن علم القرآن**﴾ . قال الحسن : يعني علمه النطق ، وهو أداء تلاوته . وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها على اختلاف مخارجها وأنواعها[(١)] . وورد عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها تنعت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً[(٢)] .

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : كانت مداً مداً ، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بـ(بسم الله) ويمد بـ(الرحمن) ويمد بـ(الرحيم)[(٣)] .

ولقد سئل الامام علي رضي الله عنه عن معنى قول الله تعالى : ﴿**ورتل القرآن ترتيلًا**﴾ فقال : هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وإذا تأملنا هذا التفسير الذي قاله الامام علي في معنى الآية الكريمة لوجدناه يشتمل على أمرين هامين :

أولهما : تحسين النطق بحروف القرآن الكريم بأن ننطق بها كما كان ينطق النبي ﷺ وأصحابه على قدر استطاعتنا ونبذل في ذلك جهدنا . لأن قراءة القرآن ونطق كلماته تختلف تماماً عن قراءة أي كتاب أو نطق أي كلام آخر ففي قراءة القرآن لابد أن يلتزم القاريء بمد حرف المد الذي يأتي بعده همز في كلمة واحدة وهو مايعرف في اصطلاح علم التجويد بالمد المتصل الواجب نحو: (للفقراء) وإذا قرأه بالقصر فيكون قد خالف قراءة النبي ﷺ وإن لم يتغير المعنى .

فقد روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقرأ (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ولم يمد صوته بلفظ (للفقراء) فقال له ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال له : فكيف أقرأكها ؟ قال : أقرأنيها

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٤١٥ . (٢) رواه أبو داود والنسائي والترمذي .

(٣) رواه البخاري .

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ومد صوته بلفظ (للفقراء) . ويقول العلماء : مد الصوت أو عدم مده في هذه الكلمة لايؤدي إلى تغيير معنى ولكن لماذا أنكر عليه ابن مسعود ؟ لأن قراءة ذلك الرجل بقصر الألف قد خالفت قراءة النبي ﷺ .

شيء آخر : في الكلام العادي غير القرآن ننطق باظهار النون أو الميم في نحو : أنت قلت كذا ، أنبأني فلان ، ضربتم بكلامي ، حلفتم بالله ، من يعلم لابأس ولاحرج في ذلك ، ولكن في قراءة القرآن لابد من اخفاء النون الساكنة عند حروف الاخفاء الحقيقي المعروفة مع الغنة ولابد من اقلاب النون الساكنة عند الباء مع الغنة ولابد من اخفاء الميم الساكنة عند الباء مع الغنة ولابد من ادغام النون الساكنة في حروف الادغام بغنة مع الغنة . وهذا كله يدخل تحت قول الامام علي رضي الله عنه (تجويد الحروف) .

شيء ثالث : يتعلق بمعرفة المخارج والصفات . لو أن انساناً لايعرف مخارج الحروف فلم يخرج اللسان في حرف الثاء في كلمة (اثم) فسوف ينطقها (اسم) فينطق الثاء سيناً ويتغير المعنى . وإذا أخرج اللسان في الزاي في لفظ (أزكى لكم) فينطق الزاي ذالًا فتصير (أذكى) من الذكاء فيتغير المعنى .

وهناك خطأ شائع بين الناس كثيراً وهو اخراج الضاد ظاء والعكس نحو: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) مما يؤدي إلى تغيير في المعنى وهذا لحن جلي يبطل الصلاة ، لأن الفاتحة ركن من أركان الصلاة ، فعلى الانسان أن يخضع نطقه للقرآن ولايخضع القرآن لنطقه وعادته وبمحاولة النطق الصحيح سيخرج كل حرف من مخرجه . ولو أن انساناً لايعرف صفات الحروف وفخم السين فصارت صاداً نحو (عسى) فتتحول إلى (عصى) بتفخيم السين ويتغير المعنى .

ولو رقق الظاء في نحو : (محظوراً) فتتحول إلى ذال فتصير (محذورا) ويتغير المعنى . وهكذا يتبين لنا أهمية القراءة بالتجويد وسيأتي تعريفه بعد قليل إن شاء الله .

ثانيهما : يقول الامام علي رضي الله عنه (معرفة الوقوف) . معرفة الوقوف لها أهمية كبيرة لأنه يترتب عليها ايضاح المعنى أو تغييره أو ايهام خلاف المعنى المقصود . فعندما يكون القاريء ملماً بالوقف والابتداء تجده يقف عند تمام المعنى نحو : (له مقاليد السموات والأرض) ويبدأ (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) . وعندما يكون القاريء لاعلم له بالوقف والابتداء قد يقف وقفاً يغير المعنى أو يوهم خلاف المعنى المقصود نحو : (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا) ويقف عند (والذين آمنوا) فيكون بوقفه هذا قد جمع بين الذين كفروا والذين آمنوا في الجزاء وهذا لايصح لأن كلًا من الفريقين له جزاء مختلف عن الآخر .

ومن هنا يتبين لنا أهمية قول الامام علي رضي الله في معنى قول الله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلًا**﴾ هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وورد كذلك في معنى الآية الكريمة المذكورة (ورتل القرآن ترتيلًا) أي لاتعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني . وقال مجاهد : أحب الناس في القراءة إلى الله تعالى أعقلهم عنه ، أي الذي يفهم ويعقل ما يقرأه .

ومعنى الترتيل : التنضيد والتنسيق وحسن النظام ، ومنه : ثغر رَتِل ورَتَل بكسر التاء وفتحها إذا كان حسن التنضيد . وسمع علقمة رجلًا يقرأ قراءة حسنة فقال : لقد رتل القرآن فداه أبي وأمي[١] . وقال الشيخ محمد مكي نصر في كتابه (نهاية القول المفيد في علم التجويد) : قال ابن غازي في شرحه : اعلم أن التجويد لاخلاف في أنه فرض كفاية ، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين . وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة :

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿**ورتل القرآن ترتيلًا**﴾[٢] . قال البيضاوي :

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١٩ ص : ٢٦ . (٢) يقول الشيخ عبد الفتاح المرصفي في كتابه (هداية القاريء إلى تجويد كلام الباري) : إن الأمر في هذه الآية للوجوب كما هو الأصل في الأمر ما لم تكن هناك قرينة تصرفه عن هذا الوجوب إلى غيره من المعاني كالندب أو الاباحة أو التهديد الخ ولاقرينة تصرفه عن هذا الوجوب إلى غيره من المعاني مما ذكر ونحوه فبقي على الأصل وهو الوجوب

أي جوده تجويداً . وقال غيره : أي ائت به على تؤدة وطمأنينة وتأمل ورياضة اللسان .

وأما السنة فمنها قوله ﷺ : «رب قاريء للقرآن والقرآن يلعنه» أي إذا أخل بمبانيه أو معانيه أو العمل بما فيه . ومن جملة العمل بما فيه ترتيله وتلاوته حق تلاوته لأن الله تعالى أنزله مجوداً مرتلًا وقد وصل إلينا كذلك من المشايخ المتقنين العارفين بتحقيقه وتدقيقه المتصل سندهم بالنبي ﷺ .

وأما إجماع الأمة فقد اجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب التجويد من زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا ولم يختلف فيه أحد منهم وهذا من أقوى الحجج(١) . ومعلوم أنه لم تكن قواعد التجويد العلمي معروفة في زمن النبي ﷺ وإنما كانوا يطبقونه عملياً بالتلقي.

والتجويد معناه في اللغة : التحسين . جودت الشيء بمعنى حسنته . ويقال : هذا شيء جيد أي حسن .

ومعناه في الاصطلاح : اخراج كل حرف من مخرجه واعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات . وهو ينقسم إلى قسمين :

(١) تجويد علمي (٢) تجويد عملي

أما التجويد العلمي : فالمقصود به قواعد وأحكام التجويد من اظهار وادغام وتفخيم وترقيق ومد وقصر ، إلى غير ذلك .

وأول من وضعه : قيل أبو الأسود الدؤلي . وقيل : أبو عبيد القاسم بن سلام . وقيل الخليل بن أحمد الفراهيدي . والله تعالى أعلم .

حكمه : بالنسبة لعامة المسلمين مستحب . وبالنسبة لأهل العلم مثل القراء والعلماء فرض كفاية .

أما التجويد العملي : فالمقصود به قراءة القرآن باعطاء كل حرف حقه من الصفات ومستحقه ومد الممدود وقصر المقصور وترقيق المرقق وتفخيم المفخم .. إلى غير ذلك . وهذا النوع مأخوذ من قراءة النبي ﷺ كما تلقاه

---

(١) من كتاب نهاية القول المفيد ج : ١ ص : ٧ - ٨ - ٩ باختصار .

عنه الصحابة وتلقاه التابعون عن الصحابة وتلقاه تابعوا التابعين عن التابعين ، وهكذا تلقى الخلف عن السلف حتى وصل إلينا . ولذلك يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول .

حكمه : واجب على مسلم ومسلمة يحفظان القرآن أو بعضاً منه لأن تلاوة القرآن عبادة والعبادة لاتصح إلا إذا كانت موافقة لفعل النبي ﷺ ولقد كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن مجوداً كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة.

الفصل الثاني : أهمية تلقي القرآن الكريم :

من المعلوم أن رسم المصحف يختلف في كثير من الأحيان عن الرسم الاملائي المتعارف عليه وقد يحسن الانسان القراءة في أي كتاب ويجيدها إلا أنه عند ما يقرأ القرآن ولم يكن قد تلقى القرآن على شيخ متخصص فإنه سوف يخطيء أخطاء كثيرة وكبيرة في قراءته . لأن نطق الكلمات القرآنية يختلف كثيراً عن نطق الكلمات الأخرى ولذلك لابد من التلقي على انسان متقن يكون قد تلقى على انسان متقن وهكذا حتى يتصل السند برسول الله ﷺ .

فكل علم لابد أن يرجع فيه إلى أهله ، ولايمكن للانسان أن يتقن أي عمل أو أي علم إلا إذا تلقاه عن أهله ودرسه على المتخصصين فيه . وكما قال تعالى : ﴿**فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**﴾(١) . وأضرب مثالًا لذلك : لو أن انساناً لم يلتحق بكلية الطب ولم يتلق علوم الطب على يد الأساتذة المتخصصين فيها هل يصح لهذا الانسان أن يأتي بكتب الطب ويجلس في بيته ثم يقرأ هذه الكتب ثم يذهب بعد ذلك ليعالج الناس ويدعي أنه طبيب ؟ هل يسمح له بمزاولة مهنة الطب بدون دراسة في كلية الطب وبدون التلقي على الأساتذة المتخصصين في ذلك ؟ الجواب البديهي : لايصح ولايمكن أن يُسمح لذلك الشخص أن يمارس مهنة الطب وهو لم يلتحق بكلية الطب ولم يتلق علومه على الأساتذة المتخصصين . فكذلك أخي المسلم قراءة القرآن لابد فيها

---

(١) سورة النحل آية ٤٣ .

من الرجوع إلى أهلها والتلقي عنهم إذا أردنا أن نقرأ القرآن قراءة صحيحة ترضي ربنا جل وعلا . وليس شرطاً أن يكون ذلك الشخص الذي تتلقى عنه شيخاً متخصصاً في تدريس القرآن . فهناك أناس وفقهم الله وتلقوا القرآن وأجادوا تلاوته وليسوا متخصصين في ذلك ولكن حبهم للقرآن هو الذي دفعهم إلى تعلمه تعلماً صحيحاً وبعد أن أجادوا تلاوته وتحسن أداؤهم جلسوا ينقلون إلى غيرهم هذا الخير ، وجلسوا يعلمون الناس كيف يقرأون القرآن قراءة صحيحة حسبة لوجه الله فجزاهم الله خيراً .

وهذه ميزة الدين الاسلامي الحنيف الذي فتح باب العلم أمام المسلم أياً كان عمله فكل مسلم يستطيع أن يتفقه في دين الله بل مطلوب منه أن يتفقه ويتعلم أمور دينه وينقلها إلى غيره كما قال النبي ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1] . وقال ﷺ : «نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع»[2] .

ولم يجعل الاسلام أمور الدين وعلومه محصورة في أناس معينين كالأديان الأخرى التي حصر علم الدين فيها في رجال الدين كالأحبار والرهبان والقساوسة والبطارقة ، بل قال الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ : ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾[3] .

كيف نتلقى القرآن ؟

أولًا : أفضل طريقة في ذلك وهي الطريقة التي كان يعلم بها جبريل رسول الله ﷺ وكان يعلم الرسول ﷺ بها أصحابه هي : أن يقرأ الشيخ على طلابه وهم يستمعون ويتابعون قراءته ونطقه . وبعد أن ينتهي الشيخ من القراءة يقرأ كل طالب الآيات التي قرأها الشيخ ويصحح الشيخ لهم ما يقعون فيه من أخطاء سواء في النطق أو التشكيل أو أحكام التجويد . وهذه الطريقة تسمى سماعاً وعرضاً .. أي سمع من الشيخ وعرض عليه . وهي طريقة السلف رحمهم الله.

---

(١) حديث متفق عليه . (٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨ .

ثانياً : أن يقرأ الطالب على الشيخ مباشرة بدون أن يسمع من الشيخ وهذه تسمى عرضاً فقط .

ثالثاً : أن يسمع من الشيخ أو ممن يقرأ على الشيخ وهو يتابع القراءة ويضبط ما يصححه الشيخ لذلك الطالب حتى لايقع فيه وهذه تسمى سماعاً فقط .

ولأهمية تلقي القرآن نجد كثيراً من عوام المسلمين الذين لم يتلقوا القرآن ولم يصححوا تلاوته على أحد نجد الواحد منهم يأخذ المصحف ويقرأ وهو لايعرف كيف يقرأ . فتجده يقرأ المفتوح مكسوراً والمرفوع مجروراً ، والمتحرك ساكناً ، والساكن متحركاً . فعلى سبيل المثال : سمعت أحدهم يقرأ (كما حَمَّلته) بتشديد الميم بدلًا من (حَمَلْتَه) بتخفيف الميم . وسمعت آخر يقرأ (فأخَذْتُهم) بفتح الذال وسكون التاء هكذا (فأَخَذَتْهم) . وسمعت ثالثاً يقرأ (علموا بني إسرائيل) بدون ألف بعد الميم ولاهمزة بعد الألف والصواب (علمٰؤا بني إسرائيل) وغير ذلك من الأخطاء الكثيرة والكبيرة التي تؤدي إلى تغيير كبير في المعنى . ولذلك يقول الشيخ محمد مكي نصر حاثاً وحاضاً على تلقي القرآن الكريم : «فتنبه يا أخي وأيقظ همتك ، وحرك عزيمتك ، واستعد لفهم ما يلقى عليك وقبول ما يملى عليك . فإن الناس في قراءة القرآن بين محسن مأجور ومسيء آثم أو معذور . فانظر من أي قسم أنت ، فإن كنت ممن هو محسن فاشكر الله تعالى فإنك مأجور ، وإن كنت ممن هو مستغن بنفسه مستبد برأيه متكل على ما ألفه من حفظه مستكبر عن الرجوع إلى عالم يوقفه على تصحيح لفظه فلاشك أنك مقصر مغرور ، مسيء آثم غير معذور . فإن كنت ممن لايطاوعه اللسان أو لايجد من يهديه إلى الصواب بالبيان ، فاعلم أن الله لايكلف نفساً إلا وسعها ، ولكن يجب عليك أن تبذل جهدك لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً[1] .

---

(١) انتهى باختصار من كتاب (نهاية القول المفيد) ص : ١٤ .

فصل في استحباب تحسين الصوت بتلاوة القرآن الكريم :

فبعد أن يحسّن المسلم تلاوته ويجود قراءته ويقوم أداءه ، عليه أن يحسن صوته قدر استطاعته بما يوافق طبيعته . ولايتكلف ذلك لأن في التكلف تعسف والأفضل التلطف . وكذلك عليه أن يبتعد عن التكلف في اخراج الحروف بطريقة منفرة . فكلما كانت القراءة سهلة موافقة للطبيعة السليمة كانت أقرب إلى القبول عند الله وأكثر تأثيراً في القلوب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»(١) .

فالصوت الحسن مطلوب ومستحب في قراءة القرآن لما فيه من تأثير على المستمع ولما فيه من الخشية تغشى القلوب مما ينعكس على الجوارح أثره ، فتجد العين تدمع ، والجلد يقشعر ، والجوارح تسكن ، والقلب يطمئن ، ولايمل المستمع . فقد ذكر الموصلي في كتاب الوسيلة في باب شدة حرص النبي ﷺ على استماع القرآن : ذكر أن النبي ﷺ كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فلما جاءت قال : ما حبسك ؟ فقالت يارسول الله : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك ما سمعت أحسن صوتاً منه . قالت : فقام رسول الله ﷺ وقمت معه حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع وقال : هذا سالم مولى أبي حذيفة . الحمد لله الذي جعل من أمتي مثله(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ اقرأ عليّ فقلت: يارسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم إني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) . فقال حسبك الآن فإذا عيناه تذرفان(٣) .

وحسن الصوت يؤثر في الحيوان والجماد فضلًا عن الانسان ، فالحادي

---

(١) رواه مسلم . (٢) كتاب التبصرة في القراءات السبع ص : ١١٣ . (٣) رواه البخاري .

الذي يحدو للابل في سيرها ليحثها على السير إذا كان نديّ الصوت تأثرت به الابل وأسرعت في سيرها . وقد حدث هذا في أيام النبي ﷺ ، فقد ثبت أنه ﷺ كان له حاد حسن الصوت يقال له أنجشة فقال له النبي ﷺ : رويداً سوقك بالقوارير[1] .

وإن الصوت الحسن ليؤثر في الطير السابح في الفضاء والجبال الشامخات . قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿**ياجبال أوبي معه والطير**﴾ كانت الطير تسبِّح بتسبيح داود عليه السلام وترجع بترجيعه ، إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لايستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فسمع قراءة رجل ، فقال : من هذا ؟ قيل : هذا عبد الله بن قيس (أي أبو موسى) قال : لقد أوتي هذا من مزامير آل داود[3] . وفي رواية أخرى قال أبو موسى : (لو علمت مكانك لحبرته لك تحبيراً) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن[4] .

واختلف العلماء في معنى (التغني بالقرآن) فقال قوم : هو تحسين الصوت وتحزينه لأنه أوقع في النفوس وأنجع في القلوب . وقال ابن الجوزي رحمه الله : اختلفوا في (يتغن) على أربعة أقوال :

(١) تحسين الصوت (٢) الاستغناء (٣) التحزن ، قاله الشافعي (٤) التشاغل به[5] .

وروي عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : «زينوا القرآن بأصواتكم»[6]. قال بعض العلماء : هذا من باب المقلوب ، ومعناه : زينوا

---

(١) رواه مسلم. انظر كتاب الاصابة ج: ١ ص: ٨٠ . (٢) من تفسير ابن كثير ج: ٣ ص: ١٩٩

(٣) رواه الشيخان . (٤) رواه البخاري . (٥) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٨٦ .

(٦) رواه الامام أحمد والنسائي وابن ماجة .

أصواتكم بالقرآن كما يقال : عرضت الناقة على الحوض ، والمقصود : عرضت الحوض على الناقة[1] .

وقال الامام النووي في كتابه التبيان : أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة ، فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم[2] .

وروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بـ(والتين والزيتون) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه[3] .

وروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لابي موسى : ذكرنا ربنا فيقرأ ابو موسى ويتلاحن أي يحسن صوته بالقراءة[4] .

ومما تقدم من الآيات والأحاديث والأثار يستفاد ما يلي :

اولا : وجوب الاخذ بالتجويد عمليا على كل مسلم ذكرا كان أو أنثى .

ثانيا : كلما كانت القراءة صحيحة نطقا وأداء كانت أقرب إلى القبول .

ثالثا : وجوب تلقي القرآن على من تخصص في ذلك وأتقن وأجاد .

رابعا : استحباب تحسين الصوت في القراءة .

خامسا : تأثير الصوت الحسن على كل من سمعه وأثر ذلك على القلب والجوارح .

* * * * *

---

(١) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٨٦ . (٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص : ٦٢ .

(٣) رواه البخاري ومسلم . (٤) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٩٢ .

الفصل الثالث

حول رسم المصحف وما يقع الناس فيه من أخطاء في النطق

ينسب رسم المصاحف الموجودة بين أيدينا إلى أمير المومنين سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه فيقال : هذا مصحف مكتوب بالرسم العثماني .

وهو وإن لم يكتبه بيده رضي الله عنه بل أمر بكتابته وجمعه فنسبت المصاحف العثمانية إلى أمره وزمانه ووقت إمارته . كما يقال : درهم هرقلي نسبة إلى زمن ملكه .

وورد أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق .

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة .

فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

فأرسل عثمان إلى حفصة . أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك .

فأرسلت حفصة إلى عثمان . فأمر زيد ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا .

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة .

وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق[1] .

وفي رواية الترمذي قال ابن شهاب : فاختلفوا يومئذ في (التابوت)

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن باب جمع القرآن .

(التابوه) فقال القرشيون (التابوت) وقال زيد : (التابوه) فرفع الخلاف إلى عثمان . فقال : اكتبوه (التابوت) فإنه نزل بلسان قريش .

واختلفوا في عدد المصاحف التي أرسل بها سيدنا عثمان إلى الآفاق .

قال الحافظ ابن حجر : المشهور أنها خمسة . وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات .

قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف . وقيل : أرسل ثلاثة إلى الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده وأرسل مع كل مصحف من يعلم الناس القرءة التي اشتهرت بينهم .

وقيل إنه جعله سبع نسخ . وزاد إلى مكة واليمن والبحرين .

قال أبو عمرو الداني والأول أصح أنها أربع نسخ[1] وعليه الائمة .

قال الامام البغوي : فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد . لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا .

أنزله الله جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر الى السماء الدنيا .

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن[2]﴾ .

وقال تعالى : ﴿انا انزلناه في ليلة القدر[3]﴾ .

ثم كان ينزله مفرقا على الرسول ﷺ مدة حياته عند الحاجة وحدوث ما يشاء الله عزوجل . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث[4]﴾ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن في هذه الامة رحمة من الله عزوجل بعباده وتحقيقا لوعده في حفظه . كما قال عزوجل ﴿انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[5] وقال أبوبكر ابن الأنباري في كتابه الرد :

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج : ١ ص : ٢٤٠ . (٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٣) سورة القدر آية ١ . (٤) سورة الاسراء آية ١٠٦ . (٥) شرح السنة ج: ٤ ص: ٥٢٢ .

وكانت السورة تنزل في أمر يحدث . والآية جوابا لمستخبر يسأل . ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية . فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف فكله عن رسول الله ﷺ عن رب العالمين .

فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظام الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم سورة البقرة على سورة الأنعام . مع أن سورة الأنعام نزلت قبل سورة البقرة . لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب . وهو كان يقول : (ضعوا هذه السورة موضع كذا من القرآن) . وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات . ومن أفسد نظام القرآن فقد كفر به . ورد على رسول الله ﷺ ماحكاه عن ربه(١) وقد قيل لابن مسعود : ان فلانا يقرأ القرآن منكوسا . فقال : ذاك منكوس القلب(٢) .

وأول ماكتبت المصاحف في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه كانت مجردة من النقط والتشكيل أي كتبت صورة الحروف . ليقرأ كل أهل مصر أرسل إليهم نسخة من المصحف ليقرءوا القرآن على ما اشتهر لديهم من القراءة مع موافقة المصحف المرسل إليهم . فعلى سبيل المثال :

(ملك يوم الدين)(٣) لم تكتب ألف طويلة بعد الميم في لفظ (ملك) وإنما وضعت ألف صغيرة لتحتمل القراءتين الواردتين في هذه الكلمة بالألف وبدون ألف . (فتبينوا)(٤) قرئت (فتثبتوا) ولو جردت الحروف في الكلمتين من النقط والتشكيل لم تتغير صورة الحروف . (هو الذي يسيركم)(٥) قرئت (هو الذي ينشركم) . (لنبوئنهم)(٦) قرئت (لنثوينهم) .

وقد روعي عند كتابة المصاحف القراءة المشهورة والمقروء بها في كل

---

(١) من تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٤٤ و ٤٥ . (٢) رواه البيهقي .

(٣) سورة الفاتحة آية ٤ . (٤) سورة النساء آية ٩٤ وسورة الحجرات آية ٦ .

(٥) سورة يونس آية ٢٢ . (٦) سورة العنكبوت آية ٥٨ .

مصر سوف يرسل إليه مصحف ، ولذلك نجد المصحف المدني يختلف في بعض الكلمات عن المصحف المكي ، ونجد المصحف الشامي يختلف في بعض الكلمات عن المصحف البصري من حيث اثبات بعض الحروف أو حذفها . فعلى سبيل المثال :

نجد في المصحف المدني والشامي حذفت الواو قبل السين في لفظ (سارعوا إلى مغفرة)[1] في سورة آل عمران بينما أثبتت الواو في بقية المصاحف هكذا (وسارعوا) . ونجد كذلك في المصحفين المدني والشامي حذف كلمة (هو) في سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿**ومن يتول فإن الله الغني الحميد**﴾[2] بدون لفظ (هو) قبل كلمة (الغني) بينما نجدها ثابتة في بقية المصاحف هكذا (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) . ونجد في المصحف المكي اثبات لفظ (من) في سورة التوبة في قوله تعالى : ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾[3] هكذا كتبت في المصحف المكي . بينما نجد هذا اللفظ قد حذف من بقية المصاحف هكذا (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) .

فصل في نقط المصحف :

نقط المصحف له معنيان :

١ - نقط إعجام ٢ - نقط إعراب

أولًا : نقط الاعجام : مقصود به وضع نقطة تحت الباء ونقطتين فوق التاء وثلاث نقط فوق الثاء ونقطة داخل الجيم ونقطة فوق الخاء ... إلى آخره .

وقد اختلف فيمن قام بهذا النقط والقول الراجح أنهما يحي بن يعمر ونصر بن عاصم بأمر من الحجاج . وقيل : يحي بن يعمر والحسن البصري .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣ . (٢) سورة الحديد آية ٢٤ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

والله أعلم .

ثانياً : نقط الاعراب : والمراد به التشكيل الدال على اعراب الكلمة وبيان حركاتها وهو الفتحة والضمة والكسرة والسكون .

والقول الراجح أن أول من قام به أبو الأسود الدؤلي .

فصل في ذكر عدد حروف القرآن وأجزائه :

روى سلام أبو محمد الحماني أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم عدد حروفه ؟ قال سلام: وكنت فيهم فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلاثمائة ألف وأربعون ألفاً وسبعمائة وأربعون حرفاً . قال الحجاج : فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن ؟ فإذا هو في سورة الكهف في ﴿**وليتلطف**﴾[1] في الفاء . قال : فأخبروني بأثلاثه . فإذا الثلث الأول عند رأس الآية المائة من سورة براءة . والثلث الثاني: عند رأس مائة واحدى آية من سورة طسم الشعراء . والثلث الثالث : ما بقي من القرآن . قال فأخبروني بأسباعه على الحروف . فإذا أول سُبُع في سورة النساء في ﴿**فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه**﴾[2] في الدال . السُبع الثاني في سورة الأعراف في ﴿**حبطت أعمالهم**﴾[3] في التاء . والسُبع الثالث في سورة الرعد في ﴿**أكلها دائم**﴾[4] في الألف التي في آخر كلمة (أكلها) . والسُبع الرابع في سورة الحج في ﴿**ولكل أمة جعلنا منسكاً**﴾[5] في ألف (منسكا) . والسبع الخامس في سورة الأحزاب في ﴿**وما كان لمؤمن ولامؤمنة**﴾[6] عند هاء (مؤمنة) . السُبع السادس في سورة الفتح في ﴿**الظآنين بالله ظن السوء**﴾[7] عند واو (السوء) . السُبُع السابع ما بقي من القرآن .

---

(١) سورة الكهف آية ١٩ . (٢) سورة النساء آية ٥٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٧ . (٤) سورة الرعد آية ٣٥ .

(٥) سورة الحج آية ٣٤. (٦) سورة الأحزاب آية ٣٦. (٧) سورة الفتح آية ٦

فصل حول بعض كلمات القرآن التي خالف رسمها العثماني الرسم الاملائي والتي قد يخطيء فيها بعض الناس :

أولًا : كلمة (يستحيِۦ) من مواضعها ما ورد في سورة البقرة[١] وسورة القصص وسورة الأحزاب وكلمة (يحيِۦ) وكلمة (أحيِۦ)[٢] (أفعيينا) (نُحيِۦ) (يُحييكم) .. الخ وهذا يسمى مدا طبيعياً أو مد تمكين .

وكلمة (ربَّنِيِّـۧنَ)[٣] وكلمة (النبيِّـۧن) حيثما جاءت . وكلمة (الأميِّـۧين)[٤] . وكلمة (الحواريِّـۧن) . فهذه الكلمات وما شابهها نجد كثيراً من الناس لايحسنون نطقها فيقرأون كلمة (يستحيِۦ) وأخواتها بياء واحدة مدية ويحذفون الياء الأولى المكسورة . وكلمة (النبيِّـۧن) وأخواتها يقرأونها بتخفيف الياء المشددة لأن الياء الثانية لم تكتب مثل الياء الأولى .

ثانياً : كلمات أثبت فيها الألف رسماً وحذف نطقاً نحو : كلمة (لشاْيء)[٥] وكلمة (لأاْذبحنه)[٦] وكلمة (تاْيئسوا) (لاياْيئس)[٧] .

ثالثاً : كلمات أثبت فيها حرف الواو رسماً ولكنه محذوف نطقاً نحو : (ساُوْريكم)[٨] ، (أوْلوا) ، (أوْلي) ، (وأوْلئك) ، (وأوْلـٰت) .

رابعاً : كلمات أثبت فيها حرف الياء رسماً وحذف نطقاً نحو : (من نبإي المرسلين)[٩] . (من تلقاي نفسي)[١٠] ، (وإيتاي ذي القربى)[١١] ، (ومن آناي الليل)[١٢] ، (أفإين مت فهم الخالدون)[١٣] ، (إلى فرعون وملإيه)[١٤] ، (أو من وراءي حجاب)[١٥] ، (والسماء بنيناها بأييد)[١٦] ، (بأييكم المفتون)[١٧] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦ سورة القصص آية ٤ وسورة الأحزاب آية ٥٣ .

(٢) من مواضعها في سورة البقرة آية ٢٥٨ . (٣) سورة آل عمران آية ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧٥ . (٥) سورة الكهف آية ٢٣ . (٦) سورة النمل آية ٢١ .

(٧) سورة يوسف آية ٨٧ . (٨) سورة الأعراف آية ١٤٥ وسورة الأنبياء آية ٣٧ .

(٩) سورة الأنعام آية ٣٤ . (١٠) سورة يونس آية ١٥ . (١١) سورة النحل آية ٩٠ .

(١٢) سورة طه آية ١٣٠ (١٣) سورة الأنبياء آية ٣٤ (١٤) من مواضعه آية ٧٥ من سورة يونس

(١٥) سورة الشورى آية ٥١ (١٦) سورة الذاريات آية ٤٧ (١٧) سورة القلم آية ٦ .

وهكذا فهناك كلمات أثبت فيها حرف الألف أو حرف الواو أو حرف الياء رسماً وحذف نطقاً لايمكن أن ينطقها الانسان نطقاً صحيحاً إلا بالسماع والمشافهة .

وهناك كلمات رسمت فيها الألف واواً وتنطق ألفاً نحو : (الربوٰ) ، (الحيوٰة) ، (الصلوٰة) ، (الزكوٰة) ، (كمشكوٰة) ، (النجوٰة) ، (ومنوٰة) ، (بالغدوٰة) إلى غير ذلك .

وقد رسمت كلمة (لئيكة) هكذا بدون همزة وصل قبل اللام ورسمت الهمزة بعد اللام على نبرة في سورتي الشعراء وص[1] لوجود قراءة أخرى في هذه الكلمة في الموضعين المذكورين هكذا : (ليكة) . وأما في غير هذين الموضعين فرسمت هكذا (الأيكة) في سورة الحجر وسورة قٓ[2] لاتفاق القراء السبعة على قراءة الكلمة في الموضعين المذكورين .

فهذه الكلمات التي ذكرتها والتي يخالف رسمها العثماني الرسم الاملائي فإنما هي أمثلة للتوضيح وليست للحصر لأن المجال يضيق عن حصر كل الكلمات التي أثبت فيها ألف أو واو أو ياء رسماً وحذف نطقاً .

والعمدة في ذلك وطريق النجاة من الخطأ في قراءة القرآن الكريم هو التلقي على انسان متقن مجيد للقراءة وعلى علم بأحكام التجويد وبعض قواعد اللغة العربية . وإليك أخي المسلم هذه القصة التي تبين لك مدى أهمية تلقي القرآن الكريم على شخص يكون مؤهلًا لذلك بأن يكون ملماً بالأشياء التي ذكرتها قريباً : ذكر القرطبي في تفسيره عن أبي مليكة قال : قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ ؟ قال : فأقرأه رجل سورة براءة . فقال : (أن الله بريء من المشركين ورسوله) بجر اللام . فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله ؟ فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إني قدمت المدينة

---

(١) سورة الشعراء آية ١٧٦ وسورة صٓ آية ١٣ . (٢) سورة الحجر آية ٧٨ وسورة قٓ آية ١٤ .

ولا علم لي بالقرآن . فسألت من يقرأني القرآن ؟ فأقرأني هذا سورة براءة . فقال: أن الله بريء من المشركين ورسولِه . فقلت : أو قد بريء الله من رسوله ، إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه . فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : (أن الله بريء من المشركين ورسولُه) .فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه . فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لايقريء الناس إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود الدؤلي فوضع علم النحو(١) .

ومما ذكر في هذا الفصل يستفاد مايلي :

أولًا : اجماع الصحابة على ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه الآن.

ثانياً : ينبغي الالتزام بذلك الترتيب فلاتقدم سورة مؤخرة على أخرى مقدمة

ثالثاً : وجوب تلقي القرآن على من يكون أهلًا لذلك .

رابعاً : من لم يتلق القرآن معرض للوقوع في أخطاء كبيرة وكثيرة قد يأثم بارتكابها .

خامساً : ينبغي للمسلم أن يكون حريصاً على تلاوة كتاب ربه تلاوة صحيحة .

★ ★ ★

★ ★

★

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٢٠ وأبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمر بن سفيان قاضي البصرة ثقة جليل أول من وضع النحو . قيل بإشارة من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ذكره القرطبي عند الحادثة المذكورة قريباً . وقيل : بإشارة من سيدنا علي رضي الله عنه وقد أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو من المخضرمين . باختصار من كتاب هداية القاريء ص : ٦٦٠ و ٦٦١ .

فصل في التعريف بعلم القراءات

أولًا : القراءات جمع قراءة : وهي في اللغة مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً . وفي الاصطلاح : معرفة كيفية نطق كلمات القرآن الكريم نطقاً صحيحاً كما نطق بها النبي ﷺ كما علمه جبريل عليه السلام .

والقرآن والقراءات منزلان من عند الله تبارك وتعالى ، والدليل على ذلك: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أقرأني جبريل على حرف فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[١] .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على حرف . فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك . ثم أتاه الثانية فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على حرفين . فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[٢] .

ومن هذين الحديثين يتبين لنا أن القراءات منزلة من عند الله تبارك وتعالى بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام مثل القرآن تماماً لأنه في الحديث الأول يقول النبي ﷺ : أقرأني جبريل على حرف : أي أقرأ جبريل النبيَّ ﷺ القرآن على حرف ، فلم أزل أستزيده ، أي أطلب منه الزيادة للتخفيف ويزيدني بأمر الله حتى انتهى إلى سبعة أحرف .

والمتأمل في كلمة (أقرأني) يجد أن النبي ﷺ أقرئ القرآن بهذه الأحرف السبعة . والتي كانت القراءات السبع والقراءات العشر جزءاً منها . وفي الحديث الثاني نجد أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على حرف ... الخ ، فمعنى : أن الله يأمرك أن تقريء

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه مسلم وأبو داوود .

أمتك يفيد أن الآمر بالقراءة والاقراء هو الله عزوجل والنبي ﷺ منفذ أمر ربه ولكنه صلوات الله وسلامه عليه كان في كل مرة يقول أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك . لماذا قال : أسأل الله معافاته ؟ أي : يسأل الله المعافاة من الالتزام بقراءة القرآن على حرف واحد لعلمه ﷺ بأن ذلك سوف يكون فيه مشقة على أمته التي تختلف لهجاتها وتتباين ألسنتها ، ولأن فيهم العجوز والشيخ الكبير والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط كما ورد الحديث بذلك . فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال : يا جبريل إني بُعثت إلى أمة أميين فيهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف[1] .

وكان الله قادراً على أن ينزل القرآن على الأحرف السبعة من بداية تنزيله بدون طلب من رسول الله ﷺ وإلحاح منه في ذلك ولكن لعله سبحانه وتعالى أراد بذلك ابراز رحمة النبي ﷺ بأمته وشفقته عليهم ولعل ذلك يجعل المسلم يقدر نعمة الله عليه في انزاله القرآن على سبعة أحرف بطلب والحاح من النبي ﷺ لأن الانسان إذا جاءه شيء عظيم بدون طلب منه فقد لايقدره حق قدره ، ولكنه لو جاءه هذا الشيء بطلب وإلحاح ورجاء فإنه يعتز به ويحرص عليه ولايتهاون فيه . والله تعالى أعلم .

ثانياً : متى نشأت القراءات ؟

بعد أن ذكرت بعض الأحاديث الدالة على نزول القرآن الكريم على الأحرف السبعة من الله سبحانه وتعالى . وأنه لامجال فيها للعقل ولا للرأي أريد أن أذكر بداية نشأة القراءات كما وردت في أقوال العلماء في هذا المجال . قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾[2] .

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . (٢) سورة يونس آية ١٥ .

فإذا كان النبي ﷺ ليس في مقدوره ولا في استطاعته أن يبدل أو يغير شيئاً من القرآن فما ظنك بغيره ومن هو دونه منزلة وفصاحة وبلاغة(١) . ويقول الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه (القراءات وأثرها في علوم العربية) في الاجابة عن السؤال القائل : متى نشأت القراءات ؟ . يقول فضيلة الدكتور محيسن : بالبحث عن جواب لهذا السؤال وجدت قولين :

القول الأول : أن القراءات نزلت بمكة المكرمة أي مع بداية انزال القرآن الكريم ويشهد لذلك قول النبي ﷺ : أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . فهذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في نشأة القراءات كلها تفيد أن القراءات نزلت بمكة المكرمة منذ بدء نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ .

القول الثاني : يفيد أن القراءات إنما أنزلت بعد الهجرة وفي المدينة المنورة واستدل أصحاب هذا الرأي بالأحاديث الواردة في اختلاف الصحابة فيما بينهم بسبب سماعهم قراءات بحروف لم يتلقوها من الرسول ﷺ وكل ذلك كان بالمدينة المنورة لا بمكة المكرمة . ولكن الدكتور محيسن يرجح القول القائل بأن القراءات نزلت بمكة المكرمة حيث لااعتراض عليه وتطمئن إليه النفوس وفيه الأخذ بالأحوط .

أما القول الثاني : القائل بأن القراءات نزلت بالمدينة المنورة فهو قول مرجوح لأن معظم سور القرآن الكريم وعددها ثلاث وثمانون نزلت بمكة المكرمة ومما لاشك فيه أنها نزلت بالأحرف السبعة لأنه لم يثبت بسند قوي أو ضعيف أنها نزلت مرة ثانية بالمدينة المنورة . والله تعالى أعلم(٢) .

ولكن هناك حديث صحيح يدل على أن القراءات نزلت بالمدينة المنورة فلقد ورد عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار فأتاه

---

(١) كتاب القراءات وأثرها في علوم العربية ج : ١ ص : ٤٠ .

(٢) كتاب القراءات وأثرها في علوم العربية ج : ١ ص : ٤٠ و ٤١ .

جبريل .. قد تقدم ذكر هذا الحديث قريباً واضاة بني غفار موضع ماء كان لبني غفار نزلوا عنده بالمدينة المنورة . والله تعالى أعلم .

ثالثاً : الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع :

هناك بعض الناس من يعتقد أن المقصود بالأحرف السبعة القراءات السبع وهذا خطأ واضح لأن الأحرف السبعة نزل القرآن بها على رسول الله ﷺ ولم يكن أحد من الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات موجوداً في عهد النبي ﷺ لأنهم إما من التابعين مثل ابن عامر وابن كثير أو من تابعي التابعين مثل نافع وأبي عمرو البصري وغيرهم . فالقراءات السبع بل والقراءات العشر جزء من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم على رسول الله ﷺ . ونسبت القراءات إلى الأئمة الذين عرفت بهم لأن كل واحد منهم قضى مدة حياته في الدنيا يقرأ ويُقرىء الناس بهذه القراءة حتى صارت تعرف باسمه ، فيقال قراءة نافع وقراءة ابن كثير وقراءة أبي عمرو .. إلى آخره ، فهذه نسبة تعليم وقراءة واقراء ، وليست نسبة ابتداع واختراع فكما تقدم أن القراءات شأنها شأن القرآن الكريم نزلت من عند الله تبارك وتعالى ولادخل فيها لأحد ولامجال فيها للرأي ولا للقياس .

ومما يدل على أن القراءات ليس فيها مجال للرأي ولا للقياس الأمثلة التالية :

أولًا : كلمة (فمن زحزح عن النار) أدغم السوسي الحاء في العين في (زحزح عن) ولايدغم أي حاء في عين غير هذا الموضع نحو (ولاجناح عليكم) (لن نبرح عليه) فمتفق على اظهار الحاء عند العين في كل المواضع غير موضع سورة آل عمران . وأمال أبو عمرو الموضع الأول في كلمة (أعمى) في (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) وفتح الموضع الثاني ولافرق بين الكلمة في الموضعين إلا أنه ثبت عند أبي عمرو إمالة الأول وعدم إمالة الثاني .

ثانياً : لفظ (ابراهيم) ورد عن هشام أنه يقرأه (ابراهام) بفتح الهاء وألف بعدها في مواضع سورة البقرة وعددها خمسة عشر موضعاً وكذلك في ثمانية عشر موضعاً موزعة في بقية سور القرآن ولافرق في نطق لفظ (ابراهيم) في سورة البقرة أو في سورة آل عمران إلا أنه ثبت من رواية هشام هذا الاختلاف.

ثالثا : لفظ ﴿غشاوة﴾ ورد في سورة البقرة في ﴿وعلى ابصارهم غشاوة[1]﴾ وفي سورة الجاثية في ﴿وجعل على بصره غشاوة[2]﴾ قرأ حمزة والكسائي في سورة الجاثية ﴿غَشْوَة﴾ بفتح الغين وسكون الشين وحذف الالف وقرأ باقي القراء ﴿غِشَاوة﴾ بكسر الغين وفتح الشين والف بعدها .

أماموضع سورة البقرة فلاخلاف بين القراء على قراءته ﴿غِشَاوة﴾ .

وكل هذا وغيره يدل على أن القراءات بالتلقي ولامجال فيها للقياس أو الرأي .

ولذلك نجد الامام الشاطبي يقول :

ومالقياس في القراءة مدخل فدونك مافيه الرضا متكفلا

رابعاً : فوائد القراءات :

إن من فوائد القراءات القرآنية المتعددة والمتغايرة أنها تساعد على تفسير كتاب الله وفهمه ممايساعد على إبراز عظمة هذا الكتاب العزيز وإعجازه وانه كتاب واحد يغني عن عدة كتب بما اشتمل عليه من فصاحة وبلاغة تأخذ بالألباب وتحير العقول .

ولقد قال الألوسي في الأمور التي يحتاجها المفسر .

السابع : اي الشرط السابع : علم القراءات لانه به يعرف كيفية النطق بالقرآن . وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .. انتهى .

فهذا نص صريح وبرهان قاطع على مكانة علم القراءات من التفسير فلايكاد يوجد كتاب من كتب التفسير نحو : معالم التنزيل ، والكشاف ، وجامع البيان والدر المنثور ، والبحر المحيط ، والجامع لأحكام القرآن وغير ذلك من مئات الكتب إلا ونجد فيها الالتزام بذكر اختلاف القراءات ومايتشعب منه من دقائق المعني وأسرار الكلام ومن فوائد علم القراءات كذلك أنه يساعد كثيرا في استنباط المسائل والأحكام الفقهية وما يتفرع منها من الخلافات .

---

(١) سورة البقرة آية ٧ . (٢) سورة الجاثية آية ٢٣ .

ولقد قال الألوسي في قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾[1] . ففي كلمة (وأرجلكم) قراءتان صحيحتان متواترتان :

الأولى : نصب اللام عطفاً على (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي من القراء السبعة ويعقوب من القراء العشرة[2] .

الثانية : جر اللام عطفاً على (وامسحوا برؤوسكم) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة وحمزة وأبي جعفر وخلف العاشر من القراء العشرة ، والمقصود بهذه القراءة المسح على الخفين لأنه ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة أن النبي ﷺ غسل رجليه ومسح على الخفين .

ومن فوائد القراءات القرآنية أن في اختلافها من دقيق الاشارات ولطائف الأسرار ما يكل عنه الوصف ، ويقف دونه البيان . فما من قراءة إلا وهي تدل على نهاية البلاغة وكمال الاعجاز . فنجد أن المعنى يختلف في قراءة كلمة بالتشديد عما لو قرئت بالتخفيف فقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿**ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ فمن قرأ (عقَّدتم) بالتشديد يراعي فيه معنى شدة العقد ومن قرأ بالتخفيف فيتحقق الأخذ عنده بمجرد العقد من غير ملاحظة إلى مكانة النية وشدة العلاقة بها[3] . وكذلك في قوله تعالى : ﴿**الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة**﴾ نجد فيها القراءات التالية وكل قراءة تؤدي إلى معنى لطيف كما يلي :

١ – قراءة نافع وابن عامر وحفص (دري يوقد) فكلمة (دري) نسبة إلى الدر لصفائها ، وكلمة (يوقد) فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على (المصباح) .

---

(١) كتاب التبصرة لمكي ابن أبي طالب ص ٤٣ و ٤٤ . (٢) تفسير القرطبي ج : ٦ ص : ٦٢ .

(٣) كتاب التبصرة ص : ٤٥ و ٤٦ .

٢ - قرأ ابن كثير (دري تَوَقَّدَ) فعل ماضي والفاعل ضمير يعود على (المصباح) .

٣ - قرأ أبو عمرو (دِرِّيء تَوَقَّد) فكلمة (دري) بكسر الدال والياء الساكنة المدية واثبات الهمزة صفة للكوكب على المبالغة ، و(تَوَقَّدَ) فعل ماض مثل قراءة ابن كثير .

٤ - قرأ شعبة وحمزة (دُرِّيء تُوقَد) بضم الدال وتحقيق الهمزة في (دريء) من الدرء بمعنى الدفع أي يدفع بعضها أو يدفع ضوؤها خفاءَها . و(توقد) فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفعل ضمير المؤنث يعود على (زجاجة) .

٥ - قرأ الكسائي (دِرّيء تُوقَد) فكلمة (دريء) بكسر الدال والياء الساكنة المدية وتحقيق الهمزة صفة للكوكب على المبالغة كما في قراءة أبي عمرو . (وتوقد) مثل قراءة شعبة وحمزة[1] .

وكذلك يتنوع الحكم في قراءة الكلمة مبنية للفاعل أو مبنية للمفعول مثل قوله تعالى : ﴿**وظنوا أنهم إلينا لايرجعون**﴾[2] فبقراءة الكلمة مبنية للفاعل هكذا (لايَرْجِعُونَ) في قراءة نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم يفيد سلب الاختيار منهم في الرجوع إلى الله ويبين طواعيتهم لامحالة لما قدره الله في الأزل ويعرب عن خضوعهم واستكانتهم طوعاً أو كرهاً لرجوعهم إلى الله الواحد القهار .

وأما قراءتها بالبناء للمفعول هكذا (لايُرْجَعُون) كما في قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وعاصم فمعناه أنهم يساقون إلى الله قهراً وعنوة ولايسعهم إلا الرجوع إليه فكأنهم ارتطموا بأمر لامفر منه ولا مندوحة عنه[3] . وغير ذلك كثير جدا من فوائد القراءات والذي ذكرته مجرد أمثلة فقط للتوضيح والبيان .

★ ★ ★

---

(١) اتحاف فضاء البشر ص : ٣٢٤ و ٣٢٥ . (٢) سورة القصص آية ٣٩ .

(٣) كتاب التبصرة ص : ٤٦ .

﴿ مقارنة بين قول الله تعالى ﴿فاقرأوا ماتيسر منه﴾ وقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حينما اعترض على قراءة هشام بن حكيم وقال النبي ﷺ لعمر بعد ما قرأ القراءة التي أقرأه إياها كذلك أنزلت وقال لهشام بعد ما قرأ القراءة التي اعترض عليها عمر : كذلك أنزلت : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه : ﴾

فجملة (فاقرأوا ما تيسر منه) وردت في القرآن في سورة المزمل في الآية العشرين ووردت في الحديث المذكور قريباً ولكن لكل منهما معنى : قال القسطلاني : فالمراد بالتيسير في الآية غير المراد به في الحديث لأن الذي في الآية المراد به القلة أو الكثرة في القراءة والذي في الحديث (فاقرأوا ما تيسر منه) ما يستحضره القاريء من القراءات فالمعنى من الآية (فاقرأوا ما تيسر منه) من الكمية ، والمعنى في الحديث (فاقرأوا ما تيسر منه) من الكيفية[1] .

وقال ابن حجر : واستدل بقوله ﷺ : فاقرأوا ما تيسر منه : على جواز قراءة القرآن بكل ما ثبت من القراءات الصحيحة المتواترة بشروطها الثلاثة:

أولًا : أن تكون صحيحة السند .

ثانياً : أن تكون موافقة لرسم المصحف ولو احتمالًا .

ثالثاً : موافقة وجه من أوجه اللغة العربية .

وقد ذكرها ابن الجزري في مقدمة الطيبة فقال :

فكل ما وافق وجه نحوي وكان للرسم احتمالًا يحوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

ولذلك نجد بعض البلاد مثل بلاد المغرب العربي وهي : المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس ، الغالبية من أهلها إن لم يكونوا جميعاً يقرأون بقراءة الامام نافع من رواية قالون وورش . وبعضهم يقرأ برواية قالون فقط مثل الغالبية في ليبيا وتنتشر في بعض مناطق بالسودان رواية دوري أبي عمرو البصري وكل على

---

(١) كتاب التبصرة ص : ٩٠ و ٩١ .

صواب إن شاء الله إذا كان يقرأ القرآن بأي رواية كانت من الروايات أو قراءة من القراءات الصحيحة المتواترة مع مراعاة قواعدها وأحكامها .

ولقلة علم الناس بالقراءات الصحيحة التي ثبتت عن رسول الله ﷺ نجد البعض منهم إذا سمع قراءة مخالفة لما يحفظه ينكر على القاريء وقد يبالغ في ذلك الانكار بأن يصف ذلك القاريء بأنه يحرف كتاب الله أو يتلاعب به .

أقول : قد يكون الانسان محقاً في انكاره غيرة على كتاب الله ولكن على الانسان أن يتبين الأمر بشيء من الروية وأن يسأل هذا الذي سمعه يقرأ هذه القراءة قائلًا له : سمعتك تقرأ قول الله تعالى ويحدد له الآية وهذه القراءة مخالفة لما في المصحف أو مخالفة لما أحفظه فهل أنا مخطيء في حفظي أم ماذا ؟ فسوف يوضح له ذلك القاريء سبب الاختلاف ويبين له أن هذه القراءة صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ وهي مخالفة للقراءة التي يحفظها لأن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ . وإذا كان قد استمع هذه القراءة التي تخالف ما يحفظه من الراديو فعليه أن يسأل أهل علم القراءات ليوضحوا له الأمر ويزيلوا عنه ما التبس عليه عملاً بقول الله تعالى ﴿**فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**﴾ .

خامساً : القراءات في زمن النبي ﷺ :

لقد كانت القراءات منتشرة في زمن النبي ﷺ ، وقد ذكر الامام أبو عبيد القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم . فذكر من الصحابة الكرام :

أبابكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأباهريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وكلهم من المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين . وذكر من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وأبا زيد ومجمع بن جارية وأنس بن مالك

رضي الله عنهم أجمعين[١] .

قال ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر) : ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم وهم على النحو التالي :

فكان بالمدينة المنورة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم الليثي .

وكان بمكة المكرمة : عبد الله بن كثير وحميد بن قيس .

وكان بالكوفة : عاصم بن أبي النجود ثم حمزة ثم الكسائي .

وكان بالبصرة : أبو عمرو بن العلاء ثم عاصم الجحوري ثم يعقوب الحضرمي

وكان بالشام : عبد الله بن عامر واسماعيل بن عبد الله ثم يحيى بن الحارث

ويقول صاحب كتاب التبصرة في القراءات السبع : فيبدو من قائمة الأسماء هذه أن القراءات كانت قد اتسعت دائرتها حتى قام بالاهتمام بها عدد كبير من الرجال من المدينة المنورة إلى أرض الشام .

ولقد اشتهر من هؤلاء المذكورين الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات السبع وكذلك الأئمة الثلاثة الباقين الذين تتم بهم القراءات العشر . ففي المدينة المنورة : اشتهر الامامان أبو جعفر وخلفه تلميذه الامام نافع . وفي مكة : اشتهر الامام عبد الله كثير . وفي البصرة : اشتهر الامامان أبو عمرو ويعقوب . وفي الكوفة : اشتهر الأئمة الأربعة عاصم وحمزة والكسائي وخلف . وفي الشام : اشتهر الامام عبد الله بن عامر .

فهؤلاء هم الأئمة العشرة الذين تنسب إليهم القراءات العشر من طريقيها:

(١) العشرة الصغرى : وهي من طريق الشاطبية والدرة .

(٢) العشرة الكبرى : وهي من طريق طيبة النشر في القراءات العشر .

ونكتفي بهذا القدر فما هو إلا قطرة من بحر ، وزهرة من بستان . ولعل الله سبحانه وتعالى يجعل فيه الفائدة لمن قرأه .

---

(١) كتاب التبصرة ص : ٩٢ و ٩٣ .

﴿ الباب الثالث ﴾

الفصل الأول فيما ينبغي لحامل القرآن أن يتحلى به :

إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم ليكون دستور حياة الناس ومصدر سعادتهم وطريق نجاتهم وسبب فوزهم في الدنيا والآخرة ، فإن من تمسك به نجا ومن اتخذه اماماً قاده إلى رضوان الله وجناته ، ومن تخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه سعد في حياته وبعد مماته . وكيف لا ؟ والله تعالى يقول : ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً**﴾[1] .

وأول من يجب عليه أن يتخلق بأخلاق القرآن ويتحلى بآدابه ويمتثل أمره وينتهي عن نهيه هو حامل القرآن . لأنه يقرأه ويردده ليل نهار فهو أعلم به من غيره وهو يعيش معه أكثر من غيره وهو مغمور بأنواره محفوظ بأسراره يتقلب في بركاته ويعيش في ظل رحماته فلابد لمن هذه حاله أن تنعكس أنوار القرآن على مرآة حياته . فتجد قلبه صافياً ومن الغل والحقد والحسد خالياً نفسه مطمئنة ، وإلى فضل الله ورحمته مستكنة . لأنه بحمله للقرآن صار من أهل الله وخاصته الذين اختصهم بفضله ورحمته ووعدهم أن يكونوا من ورثة جنته .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يكلفهم ما لايطيقون ولم يحملهم ما لايقدرون بل جعل أمور الدين سهلة ميسورة وكل مسلم يستطيع القيام بها ولكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس ، وحملها على سلوك الصراط المستقيم والالتزام بالمنهج القويم الذي أوضحه لنا رسولنا الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم والذي كان خلقه القرآن فما أمر به القرآن ائتمر ﷺ وما نهى عنه القرآن انتهى عنه ﷺ فكان كأنه قرآن يمشي بين الناس صلوات الله وسلامه عليه ولقد اقتدى به أصحابه في أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ ففازوا بسعادة الدارين ، والقرآن الذي بين أيدينا اليوم هو القرآن نفسه الذي كان يقرأه رسول الله ﷺ وأصحابه ولكنهم قرأوا وعملوا بما علموا ولكننا قرأنا ووقفنا عند القراءة وعطلنا العمل به فأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يطهر قلوبنا من العوائق والآفات التي تحول بيننا وبين تدبر القرآن

---

(١) سورة الاسراء آية ٩ .

وفهمه فهماً صحيحاً ليكون ذلك دافعاً ومعيناً لنا على العمل والتخلق بما في هذا الكتاب العظيم لنسعد كما سعدوا ونفوز برضوان الله كما فازوا . ولـذلك قال سيدنا عثمان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا .

وتعال بنا أخي المسلم نستعرض بعض الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها حامل القرآن على ما ييسره الله تعالى لنا ويفتح به علينا :

أولًا : اخلاص النية لله تعالى في حفظه القرآن الكريم وفي كل أعماله . لأن النية هي الأساس الذي يبنى عليه العمل . فإن صلحت النية صلح العمل وإن فسدت النية فسد العمل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . ولقد ورد في الحديث الصحيح : «**إنما الأعمال بالنيات**» فاخلاص النية لله تبارك وتعالى يجعل الأعمال مقبولة عند الله تعالى إذا تحقق فيها .

ثانياً : أن تكون الأعمال موافقة لما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ وصلاح النية حتى في العادات يجعل فيها ثواباً لصاحبها مثال ذلك :

آ – الطعام الذي نأكله على أنه عادة نمارسها لنطرد عنا شبح الجوع ونقيم أودنا . لو نوى الانسان عند تناوله هذا الطعام أنه يأكل ليتقوى على طاعة الله لصار ذلك عبادة لها ثوابها عند الله .

ب – النوم عادة يحتاج إليها الانسان ليريح جسده بعد الكد والكدح الذي يجده في سعيه على معايشه في النهار فإنه ينام ليستعيد الجسد نشاطه . فلو نوى الانسان عند نومه أنه سوف ينام ليتقوى على قيام الليل والتهجد والعبادة لكان له في ذلك ثواب ، وتتحول العادة إلى عبادة .

ج – معاشرة الزوجة : لو أتى الانسان زوجته ونوى بذلك أنه يعفها وتعفه وأن يرزقه الله منها الذرية الصالحة لكان ذلك عبادة . كما ورد في الحديث : وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله ! يأتي أحدنا أهله بشهوة ويكون له أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك لو وضعها في حلال كان له أجر أو كما قال ﷺ .

د – السعي على الرزق : نحن مطالبون بأن نسعى على أرزاقنا أخذاً في

الأسباب ، فإذا قصد الانسان في سعيه على رزقه امتثال أمر الله تعالى في قوله جل وعلا : ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾ وقصد أن يعف نفسه ومن يعولهم عن السؤال والحاجة إلى الناس كان ذلك عبادة وله فيها ثواب . كما ورد أن رجلًا مرّ على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَدِه ونشاطه ما أعجبهم فقالوا : يارسول الله لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن كان خرج يسعى على ولد صغار فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[1] .

هـ – اللباس : وهو ما يستر الانسان من ثياب وغيرها ، لو قصد الانسان ستر عورته واظهار نعمة الله عليه لكان له في ذلك ثواب . بخلاف ما لو قصد به التفاخر والتكبر فيكون عليه في ذلك إثم ووزر .

وهذه أمثلة فقط للعادات التي نقوم بها في حياتنا وغير ما ذكرت أكثر لو قصد الانسان به عمل الخير وهو في الأصل عادة فإنه يتحول إلى عبادة ويكون له في ذلك ثواب .

وبمناسبة النية وصلاحها :

سألني أحد الاخوان ماذا يقول لأولئك الشباب الذين يثبطون همته ويضعفون عزيمته في حفظ القرآن ويقولون له:إن أول ثلاثة من خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة منهم (قاريء القرآن) . فقال لي كيف أرد عليهم ؟ فقلت له : إن ذلك راجع لنية الانسان ، إن كان يقرأ القرآن ويحفظه ليقال قاريء وحافظ فهو ينطبق عليه ذلك الحديث لأن الله تعالى يقول له يوم القيامة : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قاريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . أعاذنا الله من ذلك .

---

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

ويقول ابن عبد البر : وهذا الحديث فيمن لم يرد بعمله وجه الله تعالى . أما إذا كانت نيته صالحة وخالصة لله ويعمل بقول النبي ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فلا شك أنه يقوم بعمل عظيم بحفظه للقرآن الكريم وله أجر كريم عند الله تبارك وتعالى . والأحاديث الواردة في فضل تعلم القرآن وحفظه كثيرة جداً .

ثانياً : ينبغي لحامل القرآن أن يكون له مسلك خاص ومنهج مستقل وحياة تختلف عن حياة قرنائه ممن ليسوا من أهل القرآن . فلايلهوا مع اللاهين ولايجلس مع الغافلين ولايصحب قرناء السوء . بل يتخير لنفسه ذلك الصاحب الذي يعينه على فعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات . ويجب على حامل القرآن أن يكون مميزاً بتصرفاته السليمة وأخلاقه المستقيمة وأقواله الصادقة وأفكاره الهادفة مستمداً ذلك من ذلك الكتاب العظيم الذي يحمله بين جنبيه ، فإذا تكلم أفاد وإذا صمت استفاد يعلوه الوقار ، تغشاه الهيبة ، يتحلى بالسكينة .

ثالثاً : أن يكون مصدر خير ونفع لمن حوله من أهله وجيرانه وأقاربه وأصدقائه . يعلم جاهلهم ، يساعد محتاجهم ، ينقل إليهم هذه النعمة التي منّ الله تعالى عليه بها بأن يساعدهم على تلاوة القرآن تلاوة صحيحة ويحثهم على حفظ ما تيسر من القرآن كل على قدر استطاعته ليكون ممن قال فيهم النبي ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فيا من منّ الله عليه بهذا الفضل العظيم ويا من حباه الله بهذا الخير العميم وجعله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته . أدّ شكر هذه النعمة ، وكن مصدر خير ونفع لاخوانك وجيرانك وأصدقائك . خذهم إلى نور القرآن وهداه ولاتجعلهم يأخذونك إلى طريق الشيطان وخطاه . لأنه كما قيل : الصاحب ساحب . فإذا لم تسحب صاحبك إلى الخير سحبك هو إلى الشر ، إذا لم يكن من أهل الخير .

رابعاً : ينبغي لحامل القرآن أن يقدر هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة التي منّ الله بها عليه . فيحافظ على هذا القرآن العظيم ولايتساهل ولايتهاون في مراجعته واستذكاره حتى لايتفلت منه ، ولايقدم على هذا الكتاب العظيم أي

شيء من أمور الدنيا . بل يجعل توقيره وتعظيمه لهذا الكتاب أكبر من أي شيء لأن في تعظيم القرآن تعظيماً لله وفي اجلال القرآن اجلالًا لله . وينبغي أن ينظر حامل القرآن إلى القرآن على أنه رسالة من ربه موجهة إليه كما كان شأن السلف الصالح ، وكما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار ، أي يقومون بها الليل ويعملون بها بالنهار . ومما ينبغي أن يتحلى به حامل القرآن أن يكون ناصحاً لكتاب الله معظماً له في نفسه ظاهراً وباطناً .

خامساً : ينبغي لحامل القرآن أن يكون ممن قال الله عزوجل فيهم : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾[1] . قال قتادة عند هذه الآية هم أصحاب النبي ﷺ . وقد وردت أقوال كثيرة في معناها : فقيل : يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه، قاله عكرمة . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هم الذين إذا مرّوا بآية رحمة سألوها من الله وإذا مرّوا بآية عذاب استعاذوا بالله منها . وهذا كان شأن النبي ﷺ في تلاوته ، كان إذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية عذاب تعوذ[2] . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولايحرف الكلم عن مواضعه ولايتأول منه شيئاً على غير تأويله . وقال الحسن البصري رحمه الله : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويَكِلُون ما أشكل عليهم إلى عالمه[3] .

سادساً : وينبغي لحامل القرآن أن يكون عزيزاً في نفسه بهذا القرآن فلايذلها بمعصية ولا بسؤال الناس شيئاً من حطام الدنيا ومتاعها الفاني . وأن يترفع بنفسه عن الدنايا وسفاسف الأمور . كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

---

(١) سورة البقرة آية ١٢١ . (٢) تفسير القرطبي ج : ٢ ص : ٦٦ باختصار .

(٣) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ١١٤ .

حامل القرآن حامل راية الاسلام ، لاينبغي أن يلهو مع من يلهو ، ولايسهو مع من يسهو ، ولايلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن[1] . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات ، ولاتكونوا عيالًا على الناس . أي لاتكونوا عالة على الناس بأن تتركوا العمل والكسب وتنتظروا من الناس أن يعولوكم وينفقوا عليكم فهذا أمر لايرضاه الاسلام من أتباعه أيًّا كانوا ، اللهم إلا أن يكون هناك عجز عن العمل والكسب .

الفصل الثاني في بيان أثر القرآن على الفرد والمجتمع :

لو أن دائرة من الدوائر أو مصلحة من المصالح لها قانون يحكمها ويسير العمل فيها والتزم أفراد تلك الدائرة أو المصلحة بذلك القانون ونفذوه بكل دقة ماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة انتظام العمل واستتباب الأوضاع والنهوض بتلك الدائرة أو تلك المصلحة إلى أعلى درجات التقدم والرقي ورضا الرؤساء عن المرؤوسين وزيادة الحوافز والمكافآت للعاملين فيها ، ولو كان العكس ، بمعنى لو كان عدم الالتزام بالقانون هو السائد بين العاملين ، ولو كانت الفوضى هي السيما المميزة لسير العمل . فماذا تكون النتيجة لتلك الدائرة أو المصلحة والحالة كذلك . لاشك أنه سيكون التأخر والتفكك ، والخسارة هي النتيجة الحتمية لمن هذه حالتهم وغضب الرؤساء عن المرؤوسين والحسم من مرتباتهم جزاء تقصيرهم وإهمالهم وعدم التزامهم بالقانون وتطبيقه وقد يتعرضوا للفصل والطرد من أعمالهم ووظائفهم نتيجة إهمالهم وتقصيرهم هذا مثال ملموس ومحسوس ، قد سقته لأصِلَ إلى حقيقة واقعية وهي :

أن المجتمع المسلم إذا التزم أفراده بقانون ربهم أي بالقرآن الكريم وسنة نبيهم محمد ﷺ في كل شئونهم الدينية والدنيوية لعاشوا في رغد من العيش ، ولانتهت مشاكلهم ولفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض . كما قال تعالى:

---

(١) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٢٨ و ٢٩ .

﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾(١) . فطاعة الله سبب السعادة الدنيوية والأخروية ، والمعصية سبب الشقاوة الدنيوية والأخروية ، والعياذ بالله . والمجتمع المسلم ما هو إلا أفراد فإذا صلح الفرد صلح المجتمع ، والمجتمع كالبناء كل فرد فيه يمثل لبنة في ذلك البناء فإذا كانت اللبنات صالحة قوية متماسكة كان البناء قوياً متماسكاً ، وإذا كانت اللبنات ضعيفة مفككة مخلخلة كان البناء كذلك . فإذا كان المسلم أميناً في عباداته ومعاملاته بعيداً عن الغش والخيانة كما أمره الله تعالى بقوله : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾(٢) ، سادت المجتمع الأمانة فلاتجد فيه غشاً ولاخيانة ولاتدليساً وعمتهم البركة في أرزاقهم وأقواتهم وإذا كان المسلم صادقاً في قوله وفعله كما أمره الله تعالى بقوله : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾(٣) ساد المجتمع الصدق وما أجمله من صفة وما أحسنه من خلق ، وما أسعد أصحابه به ، فالصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة . وإذا كان المسلم آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ الذي وصفه ربه بقوله عزوجل : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾(٤) ومنفذاً لأمر الله تعالى القائل : ﴿**ولتكن أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾(٥) . إذا قام المسلم بذلك قلّ من المجتمع الفساد والشر ، وظهر وكثر الخير بين أفراده وعمتهم الرحمة والبركة والهدى والصلاح .

وإذا راقب المسلم ربه في سره وعلانيته في قوله وعمله متمثلًا قول الله تعالى : ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(٦) ، وقوله تعالى : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**

---

(١) سورة الأعراف آية ٩٦ . (٢) سورة النساء آية ٥٨ . (٣) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩ . (٥) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٦) سورة الحديد آية ٤ .

إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾[1] .

إذا تخلق الفرد المسلم بذلك الخلق قلّ من المجتمع القول الباطل والاشاعات المغرضة وبلبلة الأفكار ، وإذا كان المسلم محباً لغيره ما يحب لنفسه مجتنباً البخل والشح منفقاً في سبيل الله مؤدياً حق الله في أمواله منفذاً قول الله تعالى : **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا ماتحبون﴾**[2] ، سادت أفراد المجتمع روح المحبة والألفة والترابط والتراحم . وإذا كان المسلم عفواً عمن أساء إليه واصلاً من قطعه ، معطياً من حرمه ، ممتثلاً في ذلك قول الله تعالى : **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**[3] .

ويقول القرطبي في تفسيره عند هذه الآية : إنها تكونت من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات على النحو التالي : فقوله تعالى : (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين . وقوله تعالى : (وأمر بالعرف) دخل فيه صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار[4] . وقوله تعالى : (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم والاعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة[5] . إذا تخلق الفرد المسلم بهذه الخصال الثلاث سادت المجتمع روح الأخوة وانتهت من بينهم روح التنافر والتباغض والتحاسد والتقاطع .

وإذا كان الفرد المسلم مجتنباً الفواحش القولية والفعلية كبيرها وصغيرها امتثالاً لقول الله تعالى : **﴿ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾**[6] ،

---

(١) سورة المجادلة آية ٧ . (٢) سورة آل عمران آية ٩٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (٤) تفسير القرطبي ج : ٧ ص : ٢١٨ و ٢١٩ .

(٥) تفسير القرطبي ج : ٧ ص : ٢١٩ . (٦) سورة الأنعام آية ١٥٢ .

ساد المجتمع نظافة الأخلاق وطهارة النفوس وصفاء الأرواح .

وإذا كان الفرد المسلم غاضاً بصره عما حرم الله حافظاً فرجه عما لايحل له ، والمسلمة كذلك إذا التزمت بأمر الله فغضت بصرها وحفظت فرجها وخرجت محتشمة متسترة غير متبرجة امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ الآية[1] .

وجدت المجتمع سادته الفضيلة والأخلاق الحميدة وانتفت منه الرذيلة والأخلاق الدنيئة وإذا كان المسلم مخلصاً وجاداً فيما يكلف به من اعمال سواء كانت دينية أو دنيوية مراقباً ربه في ذلك متمثلًا قول الله تعالى : ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[2]﴾ وقوله تعالى ﴿إنه بما تعملون بصير[3]﴾ ارتقى المجتمع ونهضت الأمة وزادت قوتها وعظمت هيبتها وصارت رائدة قائدة كما كانت في الصدر الاول من الاسلام . وإذا حقق الفرد المسلم العدل في كل ما يليه من أعمال وفي كل ما يكون مسئولا عنه سواء بين أفراد أسرته أو بين من تحت يده في العمل امتثالًا لقول الله تعالى : ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل[4]﴾ لوجدت المجتمع قد سادته الرحمة والمحبة واختفى الظلم الذي هو من أسباب الهلاك والدمار للأمم . وإذا تخلق الفرد المسلم بالاحسان في كل أعماله الدينية والدنيوية امتثالًا لقول الله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى﴾ لوجدت المجتمع قد سادته السعادة وانتفت من بين أفراده تلك المشاكل الطاحنة والأزمات المستعصية . وعلى وجه العموم لو قام كل فرد مسلم بالالتزام بشرع الله في خاصة نفسه ودعى الى ذلك من هم في كنفه وتحت رعايته وفي مسئوليته لسعدوا وسعد بهم مجتمعهم ولسعدت الأمة جميعاً ولعمهم الخير ولفتح الله عليهم كنوز الأرض وبركات

---

(١) سورة النور الآيتان ٣٠ و ٣١ . (٢) سورة آل عمران آية ٥ .

(٣) سورة فصلت آية ٤٠ . (٤) سورة النساء آية ٥٨ .

السماء . وما يعانيه الناس في هذا الزمان من مشاكل اقتصادية وأزمات نفسية وضيق في المعيشة وعدم الراحة القلبية والقلاقل النفسية فانما هو بسبب المعاصي والذنوب ، وبسبب بُعد الناس عن دين الله القويم والصراط المستقيم . وذلك لأن الله تعالى لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . لأن الانسان إذا كان في طاعة الله يسر الله أمره وقضى حوائجه وفتح له أبواب الخير وصرف عنه أبواب الشر . فإذا غير الانسان من حالة الطاعة إلى حالة المعصية فإن الله تعالى يغير حالة النعم إلى حالة النقم والعياذ بالله ويغير حالة الرخاء إلى حالة الشدة ... وهكذا .

وقال ابن أبي حاتم : (أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة فيتحولون منها إلى معصية الله إلا حوَّل الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون)[1] . ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿**إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما يغيروا ما بأنفسهم**﴾[2] .

فبعد هذا أما آن لنا أن نعود إلى ربنا ، أما آن لنا أن نعود إلى كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ ليحول الله عنا ما نحن فيه من مصاعب ومشاكل وأزمات لايعلمها إلا الله فيحول تلك المحن منحاً وتلك المصاعب والمشاكل والأزمات إلى عيشة هنيئة مطمئنة وعيش رغيد ، فالله وحده هو القادر على ذلك لأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي بيده خزائن السموات والأرض . فالعودة العودة إلى الله ، والتوبة التوبة إلى الله يا أولي الألباب . فما علينا إلا أن نسارع في العودة إلى الله تائبين منيبين إليه مقلعين عن الذنوب والمعاصي التي أغضبت ربنا علينا ، فإذا رأى الله تعالى منا العودة الصادقة والانابة الخالصة ورأى منا حسن الاقبال عليه وقوة التوكل عليه حوّل حالنا إلى أحسن حال ، وأبدل ضيقنا فرجاً وضعفنا قوة ، وذلنا عزة وجعل لنا السيادة

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٢٧٣ و ٢٧٤ . (٢) سورة الرعد آية ١١ .

والريادة على البشرية جمعاء كما جعلها لأصحاب النبي ﷺ الذين كانوا عبّاداً بالليل وفرساناً بالنهار الذين كانوا لايخافون في الله لومة لائم ، الذين قال قائلهم: لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالاسلام فلا عز لنا ولا سعادة لنا إلا بالاسلام، الذين لم تستهوهم الدنيا بزينتها وفتنتها ، أعرضوا عنها فأقبلت عليهم وهربوا منها فجرت وراءهم . وكما قال تعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً**﴾[1] .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بَشِّرْ هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض . فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب[2]» فوعد الله قائم الى يوم القيامة لا يتخلف بشرط أن يتصف المؤمنون بما وصفهم الله به في هذه الآية من الايمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة لله وعدم الاشراك به سبحانه .

فاذا حقق المسلمون هذه الصفات العظيمة فنصر الله لا محالة آت والفرج والخير والبركات والغلبة والعزة كلها آتية باذن الله .

وكما قال الله تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[3]﴾ .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو انثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة .

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

وقد روي عن ابن عباس وجماعة انهم فسروها بالرزق الحلال الطيب .

---

(١) سورة النور آية ٥٥ . (٢) رواه الامام احمد . (٣) سورة النحل آية ٩٧ .

وفسرها الامام علي كرم الله وجهه بالقناعة ، وفي قول لابن عباس : انها السعادة ، والصحيح انها تشمل هذا كله كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه(١) .

اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وارزقنا رزقا حلالا طيبا وبارك لنا فيه يارب العالمين .

الفصل الثالث في بيان أيهما أفضل : قراءة القرآن بتدبر مع قلة القراءة ؟ أم كثرة القراءة بدون تدبر ؟

اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال : إن قراءة القرآن بتدبر مع قلة القراءة أفضل وذلك لأن الهدف من تلاوة القرآن الكريم تدبره وفهمه كما قال الله تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آيه وليتذكر أولوا الألباب(٢)﴾ .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن . ودليل على أن الترتيل أفضل من الهذ إذ لايصح التدبر مع الهذ : أي مع السرعة .

ولقد كان هذا شأن نبينا ﷺ فكثيرا ما كان يقرأ القرآن ويردد بعض آياته أو بعض سور للتدبر والاتعاظ .

فكان اذا مرّ بآية رحمة وقف وسأل الله . واذا مرّ بآية عذاب وقف واستعاذ بالله .

وعن معاوية بن قرة عن عبدالله بن مغفل قال : رأيت رسول الله ﷺ يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته(٣) .

وقد ورد عن ابي ذر رضي الله عنه أنه قال : صلّى النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها . ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم(٤)﴾ .

---

(١) رواه الامام احمد . (٢) سورة ص آية ٢٩ . (٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) سورة المائدة آية ١١٣ .

فلما أصبح قلت يارسول الله : مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها قال : إني سألت ربي عزوجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا[1] .

ولقد كان هذا شأن السلف الصالح أنهم كانوا يتدبرون آيات القرآن ويرددونها للاتعاظ والاعتبار فقد ورد أن تميماً الداري قام بآية ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**﴾[2] ، وكان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى ، فبكت امرأته . قال ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت . قال إني ذكرت قول الله تعالى : ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ فلا أدري هل أنجو منها أم لا؟ وكان مريضاً .

وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما سورة البقرة وقرأ الآخر سورة البقرة وسورة آل عمران في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد أيهما أفضل ؟ فقال : الذي قرأ سورة البقرة وحدها أفضل . وقال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لايفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال . لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : شرّ القراءة الهذرمة ، أي السرعة فيها[3] . ولقد تقدم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي يصف فيه قراءة النبي ﷺ بأنها كانت مداً مداً . ووصف السيدة أم سلمة رضي الله عنها قراءة النبي ﷺ بأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿**وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**﴾[4] . قال ابن كثير في معنى قوله تعالى : (لتقرأه على الناس على مكث) أي لتبلغه للناس وتتلوه عليهم على

---

(١) رواه الامام أحمد . (٢) سورة الجاثية آية ٢١ .

(٣) من كتاب نهاية القول المفيد ص ١٧ . (٤) سورة الاسراء آية ١٠٦ .

تمهل[1] . وقال ابن عباس ومجاهد وابن جريج (على مكث) على ترسل في التلاوة وترتيل ، فيعطي القاريء القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان فإن ذلك حرام[2] .

والفريق الآخر من العلماء يقول : إن كثرة القراءة مع السرعة أفضل ، واستدلوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي يقول فيه النبي ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها»[3] ... الحديث ، فأخذ هذا الفريق من العلماء أن كثرة القراءة حتى ولو لم يكن فيها تدبر أفضل لزيادة الحسنات التي يكتسبها الانسان من كثرة القراءة . ولكن الصحيح أن قلة القراءة مع التدبر أفضل من السرعة مع كثرتها وقد ورد ذلك التفضيل عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم[4] . ونقل الشيخ محمد مكي نصر في كتابه «نهاية القول المفيد» عن الامام المحقق ابن الجزري رحمه الله تعالى قوله : وأحسن بعض أئمتنا رحمه الله تعالى فقال : إن ثواب قراءة الترتيل أجلّ وأرفع قدراً وإن كان ثواب كثرة القراءة أكثر عدداً . فثواب الأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبداً قيمته نفيسة . وثواب الثاني : كمن تصدق بعدد كثير من الدنانير أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة . والله تبارك وتعالى يقول : ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾[5] ، فالله تبارك وتعالى يحب من عبده إذا عمل عملًا أن يحسنه وأن يتقنه . والمتأمل في هذا القول الكريم يجد أن الله تبارك وتعالى قال : (ليبلوكم أيكم أحسن عملًا) ولم يقل أكثركم عملًا كما قال ابن كثير في تفسيره .

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٤٠٤ . (٢) تفسير القرطبي ج : ١٠ ص : ٢٢٠ .

(٣) رواه الترمذي وصححه . (٤) كتاب نهاية القول المفيد ص : ١٦ . (٥) سورة الملك آية ٢

فصل في بيان أيهما أفضل قراءة القرآن غيباً أم نظراً أم يستويان ؟

ورد أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال على النحو التالي :

الأول : أن القراءة في المصحف أفضل لأن النظر فيه عبادة فتجتمع القراءة والنظر وهذا قول القاضي الحسين وأبي حامد الغزالي . وقيل : إن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرأون القرآن من المصحف ويكرهون أن يمر يوم ولم ينظروا في المصحف . ودخل بعض فقهاء مصر على الامام الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال : شغلكم الفقه عن القرآن ، إني لأصلي العتمة (أي العشاء) وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح . وروى أبو داود بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : النظر إلى الكعبة عبادة والنظر في وجه الوالدين عبادة والنظر في المصحف عبادة .

الثاني : أن القراءة عن ظهر قلب أفضل ، واختار هذا القول أبو محمد بن عبد السلام وقال : لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى : ﴿**ليدبروا آياته**﴾ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً.

الثالث : على حسب حالة القاريء . واختار هذا القول النووي رحمه الله وقال : إن كان القاريء من حفظه عن ظهر قلب يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن استوى الأمران : الغيب والنظر فالقراءة من المصحف أفضل . قال الامام النووي : وهو مراد السلف[1] .

ومما تقدم في هذا الفصل يستفاد ما يلي :

أولًا : أن قراءة القرآن بتدبر ولو كانت قليلة أفضل من القراءة بدون تدبر ولو كانت كثيرة وهذا كان شأن سلفنا الصالح .

ثانياً : الحث على تدبر القرآن الكريم الأمر الذي يجعل القلب يخشع والجوارح تستقيم .

---

(١) من كتاب البرهان ج : ١ ص : ٤٦١ و ٤٦٢ .

ثالثاً : القراءة في المصحف أفضل إذا تهيأت الحالة المناسبة لذلك كما يلي :

آ - أن يكون القاريء على طهارة .

ب - أن يكون جالساً .

ج - أن لايكون هناك ما يشغله عن التلاوة .

فإن كان على غير وضوء أو كان ماشياً أو سائقاً سيارة أو كان هناك ما يشغله فالأفضل أن يقرأ غيباً ، لأنه كما تقدم لايصح مس المصحف من غير وضوء . وليس من الحكمة أن يقرأ الانسان من المصحف وهو ماش أو سائق سيارة ، ومن احترام المصحف أن لايتركه الانسان ويتحدث مع الآخرين . أما إن كان يقرأ غيباً فإنه إذا قطع قراءته وأراد أن يرجع فيستعيذ بالله من الشيطان ويستأنف قراءته . هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني واخواني المسلمين ممن يتلون القرآن حق تلاوته ويقدرونه حق قدره .. آمين .

الباب الرابع

الفصل الأول في بيان كيفية تحزيب القرآن عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أولًا : تقسيم القرآن بحسب سوره :

ذكر صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن : قال العلماء رحمهم الله : إن القرآن العزيز أربعة أقسام :

القسم الأول : الطُوَل : وهي سبع سور على النحو التالي :

(١) سورة البقرة (٢) سورة آل عمران (٣) سورة النساء (٤) سورة المائدة (٥) سورة الأنعام (٦) سورة الأعراف (٧) سورتا الأنفال والتوبة . لأنهم كانوا يعدونها سورة واحدة ولذلك لم يفصلوا بينهما بالبسملة . وسميت هذه السور طُوَلًا : لطولها . والطُوَل : جمع (طولى) كالكُبَر جمع كبرى .

القسم الثاني المئون : وهو ما وَلِيَ السبع الطول : وسميت سوره بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها ، وتبدأ من سورة يونس إلى نهاية سورة القصص .

القسم الثالث : المثاني : وهو ما ولي المئين : وتبدأ سوره من سورة العنكبوت إلى نهاية سورة الحجرات . وسمي بذلك لأن كل سورة منه تبلغ ثمانين آية أو نحوها .

القسم الرابع : المفصل : وهو ما ولي المثاني : ويبدأ من سورة قٓ إلى نهاية سورة الناس . وسمي مفصلًا : لكثرة الفصل بين السور بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)[1] .

ثانياً : تحزيب القرآن عند الصحابة :

قال أوس بن حذيفة قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، قال فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له . وذكر أوس حديثاً طويلًا قال في آخره : فسألت أصحاب رسول الله

---

(١) من كتاب البرهان ج : ١ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ .

ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، واحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده[1] .

وتوضيح هذا التحزيب على النحو التالي :

١ – ثلاث : أي ثلاث سور : هي البقرة وآل عمران والنساء .

٢ – خمس : أي خمس سور: وهي: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة

٣ – سبع : أي سبع سور هي : يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل .

٤ – تسع : أي تسع سور وهي : من بداية سورة الاسراء إلى نهاية سورة الفرقان .

٥ – احدى عشرة : أي احدى عشرة سورة : من بداية سورة الشعراء إلى نهاية سورة يسٓ .

٦ – ثلاث عشرة : أي ثلاث عشرة سورة : من بداية سورة الصافات إلى نهاية سورة الحجرات .

٧ – حزب المفصل : من بداية سورة قٓ إلى نهاية سورة الناس .

وقد استدل العلماء بهذا التحزيب وهذا الترتيب على أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن كان موجوداً في زمن النبي ﷺ[2] .

وقد ذكرت هذا الفصل الخاص بتحزيب القرآن عند الصحابة رضي الله عنهم لأن بعض الاخوان طلاب القرآن سألوا عن ذلك فأحببت أن يكون هذا الفصل مجيباً لهم عن أسئلتهم قاضياً لهم حاجتهم مشبعاً لهم رغبتهم .

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبي بكر بن شيبة ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي .

(٢) من كتاب البرهان في علوم القرآن ج : ١ ص : ٢٤٦ و ٢٤٧ .

الفصل الثاني في ذكر بعض الفوائد المهمة في مناسبة بداية الآيات ونهايتها:

ذكر الامام بدر الدين الزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن هذه الفوائد الجليلة التي تظهر بعض أسرار القرآن العظيمة ، فلما قرأتها واشتد اعجابي بها اقتطفت منها بعضها على سبيل المثال : ومن أراد الاستزدة فعليه بالكتاب المذكور فلقد أفاض مؤلفه في هذا الباب وأجاد وأفاد رحمه الله رحمة واسعة ، عند قول الله تعالى : ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المؤمنين القتال**[(١)]﴾ .

يقول المؤلف رحمه الله : إن الكلام لو اقتصر على : ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾ لأوهم ذلك بعض ضعفاء النفوس موافقة الكفار في اعتقادهم إن الريح التي حدثت كان أمراً اتفاقياً أي حدث مصادفة بسبب رجوعهم ، فأخبر الله سبحانه وتعالى في نهاية الآية عن نفسه بالقوة والعزة فقال : ﴿**وكان الله قوياً عزيزاً**﴾ ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقينا وإيماناً بأنه الغالب الممتنع وأن حزبه كذلك وأن تلك الريح هبت ليست اتفاقاً لرجوع الكفار بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته وانها سبب من أسباب النصر الذي يمنحه عباده المؤمنين ، وأنه سبحانه وتعالى ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً ، فينصرهم مرة بإنزال الملائكة تقاتل معهم كيوم بدر ، وينصرهم مرة أخرى بإرسال الريح كيوم الأحزاب ، وينصرهم مرة اخرى بالرعب مثل ما حدث في بني النضير وتارة ينصر عليهم كيوم أحد حينما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ تعريفاً لهم أن الكثرة لا تغني شيئا وان النصر من عنده سبحانه كيوم حنين ، وعند قوله تعالى : ﴿**أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾ ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**[(٢)]﴾

قال الشيخ بدر الدين الزركشي : فانظر إلى قوله تعالى : في صدر الآية

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥ . (٢) سورة السجدة الآيتان ٢٦و٢٧ .

الأولى التي جاءت الموعظة فيها سمعية ﴿أولم يهدلهم﴾ ولم يقل ﴿أولم يروا﴾ وختم الآية بقوله تعالى : ﴿أفلا يسمعون﴾ لأنه تقدم ذكر أخبار القرون الماضية وهو يُسمع ، وفي الآية الثانية التي جاءت الموعظة فيها مرئية ﴿أولم يروا﴾ وختمها بقوله تعالى : ﴿أفلا يبصرون﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئيّ ، وفي قوله تعالى : ﴿**قالوا يا شعيب أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاؤ إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾(١) . يقول الشيخ رحمه الله : فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد . لأن الحلم يصبح به التكليف ، والرشد هو حسن التصرف في الأموال فكان آخر الآية مناسباً لأولها مناسبة معنوية . وفي قوله تعالى : ﴿**قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلاتسمعون**﴾(٢) .

يقول الامام الزركشي : لما كان الله سبحانه وتعالى هو خالق الأشياء على الحقيقة وأضاف إلى نفسه جَعْلَ الليل سرمداً إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير وهو ظرف مظلم . والحاسة التي تستعمل في الليل وظلامه هي حاسة السمع أكثر من حاسة البصر ، فاقتضت البلاغة أن تختم الآية بقوله تعالى : ﴿**أفلا تسمعون**﴾ لمناسبة ما بدئت به الآية من ذكر الليل الذي يستعمل فيه غالباً السمع . وفي الآية التي تليها قال الله تبارك وتعالى : ﴿**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون**﴾(٣) . يقول الامام الزركشي : لما أضاف الله سبحانه جَعْلَ النهار سرمداً إليه صار النهار كأنه سرمد وهو ظرف مضيء يستعمل فيه البصر أكثر من السمع . وهذا من دقائق المناسبة المعنوية(٤) .

---

(١) سورة هود الآية ٨٧ . (٢) سورة القصص آية ٧١ .

(٣) سورة القصص آية ٧٢ . (٤) من كتاب البرهان في علوم القرآن ج: ١ ص: ٨٠ بتصرف قليل

فـائــدة مـهـمــة : يقول الامام الزركشي : من بديع اختلاف نهاية الآيتين في الموضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة وذلك في قوله تعالى : في سورة ابراهيم عليه السلام : ﴿**وإن تعدوا نعمت الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفار**﴾[1] . ثم في سورة النحل ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم**﴾[2] . قال القاضي ابن المنير في تفسيره الكبير : كأن الله تبارك وتعالى يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أيها الانسان آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان : (١) كونك ظلوماً (٢) وكونك كفّاراً ، ولي عند عطائها وصفان وهما : إني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلاأقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولاأجازي جفاءك إلا بالوفاء .

فـائــدة أخــرى عـظيمـة : من أسرار خواتيم الآيات ما ورد في سورة الجاثية في قوله تعالى : ﴿**إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين**﴾ ﴿**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون**﴾ ﴿**واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون**﴾[3] . يقول الامام الزركشي رحمه الله تعالى : إن البلاغة تقتضي أن تكون نهاية الآية الأولى (لآيات للمؤمنين) لأنه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال : (إن في السموات والأرض) . ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أن المخترع له قادر عليم حكيم . فدلالة هذه الآية على صفات الله تبارك وتعالى مرتبة على دلالتها على ذاته ، فلابد من التصديق أولًا بذاته ، حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته لتقدم الموصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات . وتأتي الآية الثانية التي تتحدث عن خلق الانسان والحيوان ، فإذا تدبر الانسان سر خلقه – والفرق بينه وبين الحيوان – زاده ذلك يقيناً في معتقده الأول وهو الايمان بالله . ثم تأتي الآية الثالثة التي

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٤ . (٢) سورة النحل آية ١٨ .

(٣) سورة الجاثية الآيات ٣ – ٥ .

تتحدث عن جزئيات العالم : من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح التي تقوم بوظائف متعددة.

يقول الشيخ رحمه الله: ولايفطن لهذا كله إلا من عنده رجاحة عقل وحذاقة فهم ليعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع العالم الكلي التي هي أجرامه وعوارض عنه ولايعقل أن يكون بعضها صُنع بعض ، فقد قام البرهان العقلي على أن للعالم الكلي صانعاً مختاراً فكذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة (لقوم يعقلون) وإن احتيج العقل في الآيتين السابقتين كذلك إلا أن ذكره هنا أنسب لما في هذه الآية من دقائق صنع هذا الكون ولايلتفت إلى ذلك ولايفطن إليه إلا من تدبر بدقيق الفكر وراجح العقل(١) .

فائدتان مهمتان للحفاظ :

الأولى : في سورة الروم : الآيات الأربع المتتالية في قوله تعالى : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾(٢) .

أرشدني شيخي الذي حفظت عليه برواية حفص وأنا حديث السن إلى ربط هذه الآيات بعبارة لطيفة حتى لاأخطيء فيها وفي نهاية كل آية منها فقال لي يرحمه الله : احفظ هذه العبارة : تفكر يا عالم واسمع واعقل .

ومعناها : (تفكر) مأخوذ من نهاية الآية الأولى (لقوم يتفكرون) .

ومعنى : (يا عالم) مأخوذ من نهاية الآية الثانية (للعالمين) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج : ١ ص : ٨٣ بتصرف واختصار .

(٢) سورة الروم الآيات ٢١ – ٢٤ .

ومعنى : (واسمع) مأخوذ من نهاية الآية الثالثة (لقوم يسمعون) .
ومعنى : (واعقل) مأخوذ من نهاية الآية الرابعة (لقوم يعقلون) .

ولقد نفعني الله بهذه العبارة كثيراً ، وكثيراً ما أوصي الطلاب بحفظها ليضبطوا نهاية هذه الآيات الأربع من سورة الروم .

الثاني : في سورة النمل آيات خمس تبدأ بقول الله تعالى : ﴿**أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**﴾ وتنتهي الآيات بقوله سبحانه : ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[1] . طلب مني بعض الطلاب أن أجمع نهاية هذه الآيات الخمس في جملة واحدة تساعدهم على ضبطها مثل تلك الجملة التي ذكرتها لهم عن شيخي في آيات الروم فجمعتها في العبارة التالية : (**اعدل واعلم وتذكر ولاتشرك وكن صادقاً**) :

فكلمة (اعدل) مأخوذة من نهاية الآية الأولى (بل هم قوم يعدلون) .
وكلمة (واعلم) مأخوذة من نهاية الآية الثانية (بل أكثرهم لايعلمون) .
وكلمة (تذكر) مأخوذة من نهاية الآية الثالثة (قليلًا ما تذكرون) .
وكلمة (لاتشرك) مأخوذة من نهاية الآية الرابعة (تعالى الله عما يشركون)
وكلمة (وكن صادقاً) مأخوذة من نهاية الآية الخامسة (إن كنتم صادقين) .

ومن المعلوم أن ضبط الآيات المتشابهة ونهاياتها لايمكن إلا بالمراجعة المستمرة والتلاوة الدائمة ولكن مثل هذه العبارات إنما هي للتمييز بين نهاية كل آية . والأمر المعول عليه في تثبيت حفظ القرآن كما سبق هو الالتزام التام والجاد بمراجعته حتى لايتفلت من الصدور كما قال النبي ﷺ : «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لَهُوَ أشد تفلتاً من الابل في عقلها**»[2] .

---

(١) سورة النمل من الآية ٦٠ إلى الآية ٦٤ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

الفصل الثالث

في فضل ختم القرآن والأدعية المستحبة عند ذلك

لاشك أن تلاوة القرآن الكريم من أفضل الطاعات وأحسن القربات التي يتقرب بها العبد إلى خالق الأرض والسماوات . فمجلس القرآن تحفة الملائكة وتتنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمات ، وكل حرف يقرأه المسلم من القرآن له به عشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(١) .

فيستحب للمسلم أن يحافظ على تلاوة شيء من القرآن يومياً نظراً أو غيباً بحيث لايمر عليه يوم إلا وقد قرأ شيئاً من القرآن العظيم . ويتأكد هذا الحق على حامل القرآن الكريم أكثر من غيره حتى لايتفلت منه ولأنه قد اختصه الله بفضل عظيم وخير عميم حينما وفقه ويسر له حفظ القرآن فلايصح منه التهاون والتكاسل في مراجعته واستذكاره والمداومة على ختمه .

في كم يوم يختم القرآن ؟

تختلف حالة الناس في المدة التي يستطيعون فيها ختم القرآن فمنهم من يستطيع أن يختم في كل شهر مرة ومنهم من يستطيع أي يقرأ القرآن في كل عشرين يوم مرة ومنهم من يستطيع أن يقرأه في كل خمسة عشر يوماً مرة . وقد ورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة تبين الحد الأقصى والحد الأدنى للمدة التي يستحب فيها ختم القرآن الكريم .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : «**اقرأ القرآن في كل شهر**» قال : قلت : إني أجد قوة ، قال : «**فاقرأه في عشرين ليلة**» قال : قلت : إني أجد قوة ، قال : «**فاقرأه في سبع ولاتزد على ذلك**»(٢) . وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم .

كذلك أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في أربعين أي أربعين ليلة[1] وفي رواية ثالثة عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : «**لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[2] . وقال البخاري : وقد قال بعضهم : اقرأه في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع . وقال رحمه الله : الاختيار عند أكثر أهل العلم الترتيل في القراءة بمعنى : أن لايحملك حرصك على ختم القرآن في ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة على الاسراع في القراءة فلاتعطي الحروف حقها وتقرؤه هذرمة. وقال اسحاق بن ابراهيم : لانحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين يوماً ولم يقرأ القرآن للحديث المروي في ذلك[3] .

ومما تقدم من الأحاديث الشريفة والأقوال المروية عن أهل العلم في تحديد أكثر مدة وأقل مدة ممكن يختم فيها القرآن نخلص إلى ما يلي :

أولًا : لايستحب للمسلم أن يمر عليه أربعون يوماً ولم يختم القرآن مرة واحدة على الأقل .

ثانياً : لايستحب للمسلم أن يختمه في أقل من ثلاثة أيام .

ثالثاً : خير الأمور الوسط وهو أن يختم القرآن كل خمسة عشر يوماً مرة بحيث يقرأ كل يوم جزئين والمداومة على ذلك أفضل من ختمه كل أسبوع مرة أو كل ثلاثة أيام مرة لفترة من الزمن ثم يترك وينقطع عن التلاوة . فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل . وإن وجد عنده قوة على أكثر من جزئين في اليوم فليته يجعل بجانب هذين الجزئين جزءاً بالليل لصلاة الليل ، فيكون قد ختم بذلك القرآن في الشهر ثلاث مرات . مرتين بالنهار ومرة بالليل . وفي هذا خير كبير وأجر عظيم إن شاء الله إذا داوم عليه .

وبمناسبة صلاة الليل نجد أن بعض السلف الصالح كانوا يقرأون القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه أبوداود والترمذي وقال : حسن صحيح .

(٣) شرح السنة للبغوي ج : ٤ ص : ٤٩٨ .

كله في ركعة واحدة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد روي عنه أنه كان يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها[1] . وروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة واحدة في الكعبة . وروي عن تميم الداري أنه كان يقرأ القرآن في ركعة[2]. وورد عن ابن عمر في قول الله تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال: ذاك عثمان ابن عفان رضي الله عنه . وقال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما قال عنه الشاعر :

يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً[3]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه[4].

هكذا كان سلفنا الصالح ، كانت سعادتهم وراحتهم في القيام بين يدي ربهم في جنح الليل البهيم فأين حفاظ القرآن في هذا الزمان من تلك البدور المنيرة والأقمار الساطعة الذين كانت ألسنتهم لاتمل من تلاوة كتاب ربهم آناء الليل وأطراف النهار ؟

فصل : يستحب عند ختم القرآن أن لايقف القارىء عند نهاية سورة الناس بل الأفضل أن يقرأ سورة الفاتحة والآيات الخمس من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى : (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) كما قال القرطبي في تفسيره : ومن حرمة القرآن أن يفتتحه كلما ختمه حتى لايكون في هيئة المهجور[5].

ويستحب له أن يجمع ولده وأهل بيته ويدعو لهم . فعن ثابت قال: كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم[6] . وورد عن

---

(١) رواه ابن أبي داود والطحاوي من شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٩٩ .

(٢) شرح السنة للبغوي ج : ٤ ص : ٤٩٩ . (٣) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ٢١٤

(٤) تفسير القرطبي ج : ١٥ ص ١٥٦ . (٥) تفسير القرطبي ج ١ ص : ٢٤ .

(٦) رواه الدارمي بسند صحيح .

الحكم قال : كان مجاهد وعَبْدَة بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف ، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا : احضرونا ، فإن الرحمة تتنزل عند ختم القرآن . وورد عن ابراهيم التيمي قال : من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختم أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . قال : فكانوا يستحبون أن يختموا أول الليل وأول النهار[1] .

وعن مصعب بن سعد عن سعد قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة (أي على القاريء) حتى يصبح وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه حتى يمسي فربما بقي على أحدنا شيء فيؤخره حتى يصبح أو يمسي[2] .

قال القرطبي : ومن حرمة القرآن إذا انتهى الانسان من قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ويشهد على ذلك أنه حق ، فيقول : صدقت ربنا وبلغ رسولك ونحن على ذلك من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط[3] . ثم يدعوا بالدعوات المأثورة الواردة عن النبي ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم أو السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

ويستحب بدء الدعاء بالثناء على الله عزوجل والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ مثل أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لاإله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذاالجلال والاكرام يا حي يا قيوم . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل على سيدنا ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . ثم يدعو بما كان يدعو به النبي ﷺ عند ختم القرآن . فقد روى البيهقي وغيره أن

---

(١) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٢٥ . (٢) شرح السنة ج : ٤ ص : ٤٩٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج : ١ ص : ٢٣ .

النبي ﷺ كان يدعو عند ختم القرآن بهذه الدعوات :

«اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل واجعله لي حجة يارب العالمين . وإذا كان معه أحد يحضر الدعاء فليدع بصيغة الجمع فيقول : اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا أماناً ونوراً وهدى ورحمة ... الخ .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به مصائب الدنيا . اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق إنه لايهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها إنه لايصرف عنا سيئها إلا أنت ولاحول ولاقوة إلا بك .

اللهم أظلنا في ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك ولا باقي إلا وجهك اللهم احفظنا بالاسلام قائمين واحفظنا بالاسلام قاعدين واحفظنا بالاسلام راقدين ولاتشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين . اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي . اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين . اللهم اجعلنا ممن تبع القرآن فقاده إلى رضوانك والجنة ولاتجعلنا ممن تبعه القرآن فزخ في قفاه إلى النار .

اللهم اجعل القرآن العظيم لنا في القبر مؤنساً ومن النار مخلصاً وعلى الصراط نوراً ومن النار ستراً وحجاباً وإلى الجنة إماماً وإلى الخيرات كلها دليلاً وإماماً . اللهم يسر بالقرآن العظيم أمورنا واشرح به صدورنا واستعمل به أبداننا اللهم ارفع بالقرآن العظيم درجاتنا وكفر به سيئاتنا وثقل به موازين حسناتنا . اللهم اغفر بالقرآن العظيم ذنوبنا وبيض به وجوهنا واقض به حوائجنا . اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته . اللهم اجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده ولاتجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع

حدوده . اللهم اجز عنا سيدنا ونبينا محمداً ﷺ أفضل ما جزيت نبياً عن قومه ورسولًا عن أمته . اللهم ارض عن أصحابه وآل بيته وذريته ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . اللهم ارض عنا معهم واحشرنا اللهم في زمرتهم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على جميع أنبيائك ورسلك الكرام وعلى آل كل وصحب كل يا رب العالمين . اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا . اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير . واجعل الموت راحة لنا من كل شر . اللهم لاتدع لنا في مقامنا هذا عند ختم القرآن الكريم لاتدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولادَيناً إلا قضيته ولا مريضاً إلا شفيته ولا مبتلى إلا عافيته ولا كرباً إلا نفسته ولا ضيقاً إلا فرجته ولا ولداً إلا أصلحته ولا ميتاً إلا رحمته ولا مسافراً إلا سالماً رددته ولا عسيراً إلا يسرته ولاعدواً ظالماً إلا خذلته وكبتّه ولا مظلوماً إلا نصرته ولا مضطهداً إلا من اضطهاده نجيته ، ولا مأسوراً أو محبوساً إلا أطلقته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضىً ولنا في فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين . اللهم عاملنا بما أنت أهله فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

اللهم انصر الاسلام وأعز المسلمين ، اللهم فرج عن المسلمين كل هم وغم وضيق وكرب يا أرحم الراحمين . اللهم لاتجعل لكافر على مسلم سبيلًا . اللهم اجعل العزة والغلبة والنصر لدينك وللمسلمين . اللهم رد المسلمين إلى دينهم مرداً جميلًا .

اللهم اغفر لموتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك . اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك يا ربنا قريب مجيب الدعوات.

اللهم اجعل في أسماعنا نوراً وفي أبصارنا نوراً وفي قلوبنا نوراً وعن أيماننا نوراً وعن شمائلنا نوراً ومن أمامنا نوراً ومن خلفنا نوراً ومن فوقنا نوراً . اللهم أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير . اللهم اجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة . اللهم اجعلنا من الذين لايرهق وجوههم قتر ولا ذلة . اللهم اجعلنا من أصحاب الجنة الذين هم فيها خالدون . اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار . اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل . اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، ونعوذ بك من كل شر استعاذ منه سيدنا ونبينا محمد ﷺ . اللهم أوردنا حوضه واسقنا من كأسه وبيده الشريفة شربة سائغة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً يا رب العالمين . اللهم اجعلنا ممن سبقت لهم منك الحسنى الذين هم عن النار مبعدون . اللهم اجعلنا ممن لايسمعون حسيس النار وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . اللهم اجعلنا من الذين لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون . اللهم اغفر لوالدينا وارحمهم يارب كما ربونا صغاراً . اللهم إن كانوا محسنين فزد في احسانهم وإن كانوا مسيئين فتجاوز عن سيئاتهم اللهم اجعل قبورهم روضة من رياض الجنة . اللهم آنس وحشتهم في قبورهم . اللهم فاطر السموات والأرض أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين . اللهم ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك يا الله غير مفتونين . اللهم نجنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك . اللهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . اللهم زحزحنا عن النار وأدخلنا الجنة واجعلنا من الفائزين . اللهم ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحاً ترضاه وأدخلنا يا الله برحمتك في عبادك الصالحين . اللهم أدم علينا فضلك ونعمك وارزقنا شكرها ياأرحم الراحمين

اللهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . اللهم ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . اللهم يا من لطفت بخلق السماوات والأرض ولطفت بالأجنة في بطون أمهاتها الطف بنا في قضائك وقدرك لطفاً يليق بكرمك يا أرحم الراحمين . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أبقيتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا . اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا . اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم . اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار . اللهم باعد بيننا وبين النار كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك . اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا . ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بوجهك الكريم أن نغتال من تحتنا . اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد . اللهم ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . اللهم ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحاً ترضاه وأدخلنا يا إلهي برحمتك في عبادك الصالحين .

اللهم اجعلنا ممن يقال لهم يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . اللهم اجعلنا ممن يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . اللهم اجعلنا ممن تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بأنهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . اللهم تقبل منا صالح أعمالنا وتجاوز عن سيئاتنا واجعلنا من أصحاب الجنة . اللهم اجعلنا ممن قلت فيهم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . اللهم نضر وجوهنا بالنظر إلى وجهك الكريم . اللهم اجعلنا ممن قلت فيهم وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية . اللهم اجعلنا ممن يقال لهم : ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي .

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم . اللهم أحسن عاقتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا رب العالمين . اللهم اختم لنا منك بخاتمة السعادة أجمعين .

اللهم اختم لنا منك بخاتمة السعادة التي لاشقاء بعدها .

اللهم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً .

اللهم اجعلنا من عبادك السعداء . اللهم أسعدنا بتقواك . ولاتشقنا بمعصيتك .

اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم ورضوا عنك يا أرحم الراحمين .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم . واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هذا وقد فرغت من كتابته خلال شهر الله المحرم عام أربعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة وذلك بالمدينة المنورة ، وأقدم شكري وتقديري لكل من ساهم في هذا العمل وأخص : **الأخ / محبوب محمد يامين** الذي قام بكتابته على الآلة الكاتبة ، **والأخ / حسن محمد يعقوب** الذي شارك في المراجعة ، فجزى الله الجميع خيراً . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى رحمة ربه

سيد لاشين أبو الفرح

المدرس /بثانوية الامام عاصم بن أبي النجود لتحفيظ القرآن الكريم ، بالمدينة النبوية

أهم مراجع الكتاب

١ - القرآن الكريم
٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
٣ - الجامع لأحكام القرآن الكريم .... للامام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
٤ - تفسير القرآن العظيم .... للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي
٥ - صفوة التفاسير .... للشيخ محمد على الصابوني
٦ - صحيح البخاري .... للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري
٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ..... للحافظ أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر
٨ - صحيح مسلم .... للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري
٩ - مسند الامام أحمد .... للامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني
١٠ - سنن أبي داود .... للامام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
١١ - سنن الترمذي .... للامام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
١٢ - سنن النسائي .... للامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي
١٣ - سنن ابن ماجة .... للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة
١٤ - المستدرك للحاكم .... للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم
١٥ - سنن البيهقي .... للامام أبي بكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي
١٦ - البداية والنهاية .... للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي .
١٧ - شرح السنة .... للامام الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالبغوي
١٨ - المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح.. للحافظ أبي محمد شرف الدين الدمياطي .
١٩ - جامع العلوم والحكم .... للامام زين الدين أبي الفرج المعروف بابن رجب
٢٠ - الاصابة في تمييز الصحابة .... للحافظ ابن حجر
٢١ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ...... للفقيه أبي عمر بن عبد البر
٢٢ - البرهان في علوم القرآن .... للامام بدر الدين الزركشي .
٢٣ - التبيان في آداب حملة القرآن .... للامام أبي زكريا يحي بن شرف الدين النووي .
٢٤ - نهاية القول المفيد في علم التجويد .... للشيخ محمد مكي نصر .
٢٥ - هداية القاريء إلى تجويد كلام الباريء للشيخ عبد الفتاح المرصفي .
٢٦ - بشير اليسر شرح ناظمة الزهر .... للشيخ عبد الفتاح القاضي .
٢٧ - التبصرة في القراءات السبع .... للشيخ أبي محمد مكي بن أبي طالب .
٢٨ - القراءات وأثرها في علوم العربية....... للدكتور محمد سالم محيسن .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة